بين الآباء والأبناء

حلول جديدة لمشاكل قديمة

تعريب

صبـرى الفضـل

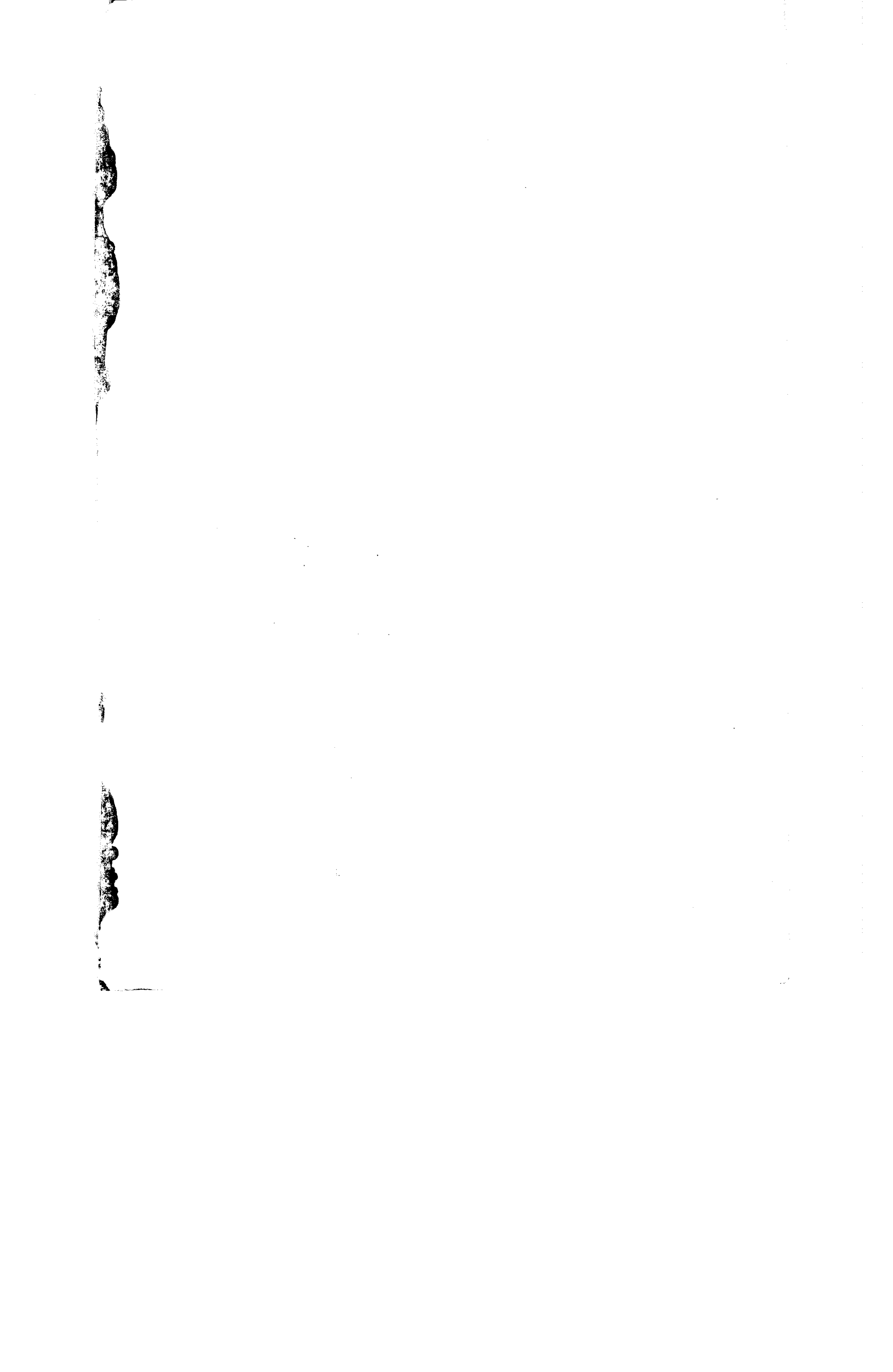
الناشر

مكتبة الدار العربية للكتاب

الناشـــر : مكتبة الــدار العربية للكتاب
شارع الطيران ـ الحى السابع ـ مدينة نصر
تليفون : ٢٦٣٩٨٥١ ـ فاكس : ٣٩٠٩٦١٨
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٩٤٤٢/ ٩٣
الترقيم الدولى : 5 - 13- 5366 - 977
طبـع : عربية للطباعة والنشر
العنوان : ٧ ـ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨

الطبعة الأولى : ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م
تصميم الغلاف : صالح وحيد

بين الآباء والأبناء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ
أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ
وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

صدق الله العظيم

مقدمة المعـرّب

هذا كتاب يساعدك على التحدث مع الأطفال . ويقدم حلولاً جديدة لمشاكل قديمة .

جميع الآباء والأمهات يريدون لأطفالهم أن يكونوا سعداء وآمنين . فلا توجد أم تستيقظ فى الصباح وتخطط لجعل حياة طفلها متوترة وتعيسة . ولكن بالرغم من حسن النوايا، فغالباً ما تكون هى كل ما يحدث .

إن لهذا الكتاب هدفاً طموحاً : أن يجعل الحياة بين ولى الأمر والطفل أقل توتراً وأكثر مكافأة . وكل يوم تواجه الآباء مشاكل فى حاجة إلى حلول خاصة . ولن نساعدهم لو قدمنا لهم نصيحة مثل : «أَعْطِ طفلك مزيداً من الحب»، «أظهرى له مزيداً من الاهتمام» ، «أَعْطِه مزيداً من الوقت» . فى الحقيقة ، مثل هذه العموميات الجديرة بالثناء تبدو مهينة صراحة عندما تكون الحاجة هى المساعدة الفورية .

ويهدف هذا الكتاب إلى تحقيق هذه الحاجة . فيقدم مقترحات متينة للتعامل مع المواقف والمشاكل اليومية ، التى يواجهها كل الآباء . إنه يقدم طريقة جديدة فى التخاطب مع الأطفال من مدح ونقد ، والتعبير عن الغضب ، وإنجاز الاستقلالية ، وانتحال المسئولية فى كل الموضوعات الهامة فى حياة الطفل .

وفيه النصيحة الواضحة المفصّلة عن التأديب والانضباط والحدود ، والتربية السليمة، ومخاوف الأطفال وقلقهم ، وعن المواقف التى تستدعى المساعدة المهينة .

سيبتهج الآباء بمضمون هذا الكتاب وأسلوبه . فمضمونه غنى وفى الصميم، وأسلوبه مباشر بارع الإيجاز . وتُصَوِّر الحوارات الواقعية كيفية التصرف عندما يسىء

الطفل التصرف ؛ وتمثل الكلمات والعبارات تفاهماً أفضل بين ولى الأمر والطفل . ويساعد الكتاب الآباء فى فهم مشاعر أطفالهم، والتعامل مع سلوكهم ، والعيش معهم فى احترام وكرامة متبادلة .

والمؤلف : دكتور . ج جينوت خريج جامعة كولومبيا . وكان أستاذاً مساعداً فى جامعة نيويورك ـ دراسات عليا فى علم النفس ، وأستاذاً معالجاً فى جامعة أدلفى ـ برنامج ما بعد الدكتوراه فى العلاج النفسى .

خدم د . جينوت فى اليونسكو ، وكان عضواً فى مؤتمر البيت الأبيض للأطفال عام ١٩٧٠ . وحاضر وعقد دورات دراسية فى علاج الطفل النفسى . وقام بإرشاد الآباء ، وتدريب المعلمين فى الولايات المتَّحدة وأوروبا ، ونشر العديد من المقالات فى هذه الموضوعات .

وهذا الكتاب حقق رواجاً كبيراً ، وكان فى قائمة أفضل الكتب رواجاً لأكثر من عام . وتمّت ترجمته إلى ثمانى عشرة لغة .

وهذه ترجمة أمينة اضطررت أن أتجنب فقط عدداً لا يزيد عن صفحتين من الكتاب كله ، اعتبرت ما جاء فيهما لا يلائم تقاليدنا . كما غيرت الأسماء الأجنبية إلى أسماء عربية ، وعرّبت قليلاً من التشبيهات لتقريب المعنى والجو العام للقارىء العزيز .

وأدعو الله أن أكون قد وفقت لما فيه الخير .

صبرى الفضل

الهرم ـ ١٢ من مايو ١٩٩٣

مقدمة المؤلف

ليس هناك أحد من الآباء يستيقظ فى الصباح مخططاً أن يُسيم حياة طفله البؤس والشقاء ، وليس هناك أم تقول لنفسها :

ـ اليوم سوف أصيح فى طفلى وأعنّفه وأذله كلما أستطيع . بل على العكس ، ففى الصباح تعقد كثيرٌ من الأمهات العزم قائلة :

ـ سيكون يوماً كله سلام بإذن الله . لا صراخ ، ولا جدال ، ولا شجار !

ومع ذلك ، رغم كل النوايا الحسنة ، تنشب الحرب غير المرغوب فيها ثانية . ونجد أنفسنا ، مرة أخرى ، نقول أشياء لانقصدها ، وفى نبرة لانحبّها .

ولا أحد يحاول عن قصد أن يجعل طفله خائفاً أو خجولاً ، أو طائشاً ، أو ذميماً . ومع ذلك ، فى أثناء عملية النمو ، يكتسب كثير من الأطفال خصائص وميزات غير مرغوب فيها ، ويفشلون فى الحصول على الإحساس بالأمان ووضع من الاحترام لأنفسهم ولغيرهم . نحن نُريد الأطفال أن يكونوا مؤدبين وهم بذيئون ، نريدهم مرتَّبين وهم متّسمون بالفوضى ؛ نريدهم أن يكونوا واثقين من أنفسهم وهم متزعزعون قلقون ؛ نريدهم أن يكونوا سعداء وهم ليسوا كذلك .

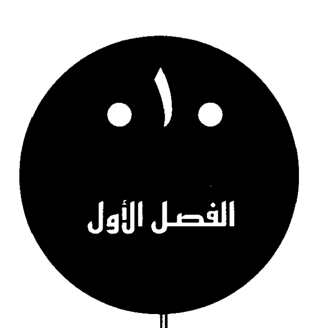
والغرض من هذا الكتاب هو مساعدة الآباء فى تحديد أهدافهم إزاء الأطفال ، واقتراح طرق لبلوغ هذه الأهداف . فالآباء يواجهون مشاكل كأداء تتطلب حلولاً معينة ؛ ولا يساعدهم فى ذلك النصائح المبتذلة مثل :

ـ أَعْطِ الطفل مزيداً من الحب .

ـ أَظْهِرْ له مزيداً من الانتباه .

ـ أَتِحْ له مزيداً من الوقت .

إن هذا الكتاب هو ثمرة خبرة طويلة مع الآباء والأبناء . إنه دليل عملى ، ويقدم اقتراحات واقعية وحلولاً مؤثّرة للتعامل مع المواقف اليومية والمشاكل السيكولوجية التى يواجهها الآباء . وبجانب إعطاء نصائح معينة ، يضع الكتاب أيضاً مبادىء أساسية ترشد الآباء والقائمين على التربية بصفة عامة .



التخاطب مع الأطفال

أسئلة الأطفال : المعانى الخفيّة

إن التخاطب مع الأطفال فن فريد له قواعده ومعانيه الخاصة به . ونادراً ما يكون الأطفال سذّجاً فى تفاهمهم . وغالباً ما يضعون كلامهم فى نظام شفرى ، يتطلّب من يفك رموزه .

سأل أيمن (١٠ سنوات) أباه :

ـ كم عدد الأطفال المشرّدين فى الجيزة ؟

فرح الأب ، الكيميائى والعقلانى ، بأن ابنه يهتم بالمشاكل الاجتماعية ؛ وألقى عليه محاضرة طويلة فى الموضوع ، ثم بحث ونقّب عن الرقم ، ولكن أيمن لم يقتنع ، وظل يسأل أسئلة فى نفس الموضوع :

ـ كم عدد الأطفال المشردين فى القاهرة ؟

ـ فى مصر كلها ؟ فى إفريقيا ؟ فى العالم ؟

وأخيراً خطر فى بال الأب أن ابنه ليس مهتماً بالمشكلة الاجتماعية ، ولكن بمشكلة شخصية . ولم تكن الأسئلة مصدرها التعاطف مع الأطفال المشردين ، قدر الخوف من التشرد نفسه . إنه لم يكن يتطلع إلى العدد الذى يمثل الأطفال الذين تخلى أهلهم عنهم ، لكنه كان يتطلع إلى الاطمئنان والتأكد بأنهم لن يتخلّوا عنه .

وأحمد (خمس سنوات) فى زيارته الأولى لروضة الأطفال فى صحبة أمه ، تطلع إلى الرسومات المعلّقة على الحائط ، وسأل بصوت عال :

ـ من رسم هذه الصورة القبيحة ؟

وأحسّت أمه بالحرج فنظرت إليه فى استهجان وقالت له :

ـ ليس من التهذيب أن تقول إنها صور قبيحة ، فى حين أنها جميلة جداً .

وابتسمت المدرِّسة ، التى فهمت معنى السؤال ، وقالت :

ـ هنا ليس من المفروض أن ترسم صوراً جميلة . يمكنك رسم صور هابطة ، إذا أحسست أنك تحبها . وظهرت ابتسامة كبيرة على وجه أحمد ؛ لأنه حصل على إجابة عن سؤاله الخافى :

ـ ماذا يحدث لولد لا يرسم جيداً ؟

ثم التقط أحمد سيارة إطفاء مكسورة ، وسأل بكل اقتدار :

ـ من كسر هذه اللُّعبة ؟

فأجابت الأم :

ـ وما فائدة أن تعرف من كسرها ، وأنت لاتعرف أحداً هنا ؟

لم يكن أحمد مهتماً فى الواقع باسم من كسرها : إنما كان يريد أن يعرف ما يحدث للأولاد الذين يكسرون اللُّعب .

وأعطت المدرِّسة التى فهمت ماوراء السؤال ، إجابة لائقة :

ـ اللُّعب هى لِلَّعب بها . وأحياناً تنكسر . وهذا يحدث فى كل مكان .

وبذا على أحمد الرضا ، وقال فى نفسه :

ـ إن هذه المدرِّسة رائعة . إنها لاتغضب بسرعة ، حتى عندما يرسم الأطفال صورة قبيحة أو يكسرون لعبة من اللعب . لا مدعاة إلى الخوف ، ومن الأمان أن أبقى هنا .

ولوَّح أحمد لأمه مودعاً ، واتجه إلى المدرِّسة ؛ ليبدأ يومه الأول فى روضة الأطفال .

وكانت سندس (١٢ سنة) حزينة باكية . فابنة خالتها المحببة لديها سوف تعود لأسرتها بعدما قضت معها معظم إجازة الصيف . وقالت والدموع فى عينيها :

ـ دينا سترحل . سأبقى وحيدة ثانية .

الأم ـ ستجدين صديقة غيرها .

سندس ـ سأكون وحيدة .

الأم ـ ستتغلبين على ذلك .

سندس ـ إيه ، يا ماما ! (نحيب)

الأم ـ أنت عمرك اثنتا عشرة سنة ، ومازلت تبكين كالطفلة الصغيرة !

فرمقت سندس أمها بنظرة نافذة ، ولاذت بالفرار إلى غرفتها ، وأغلقت الباب من خلفها !

إن هذا الحادث كان من الأفضل أن تكون له نهاية أكثر سعادة . يجب تناول شعور الطفل بشىء من الجدّية ، حتى ولو كان الموقف ليس خطيراً . إن فراق دينا فى نظر الأم، لايستدعى هذه الدموع ، ولكن استجابتها لاداعى أن يعوزها التعاطف . فكان يجب على الأم أن تقول لنفسها :

ـ إن سندس متألّمة حزينة . يمكننى مساعدتها إذا أظهرت فهمى لما يؤلمها .

وكان يجب أن تقول لابنتها بعض ما يلى أو كُلَّه :

ـ بدون دينا ستحسين بالوحدة .

ـ ستوحشك وستحسين بغيابها .

ـ لابد أن المنزل يبدو خاوياً بدون دينا .

ـ من الصعب الفراق بعدما تعودتما أن تكونا معاً .

وتخلق مثل هذه الاستجابات الألفة والمودة بين الأم وابنتها أو ابنها ، وعندما يشعر

الطفل بأن أمه تفهمه ، تزول وحدته وآلامه ؛ لأن أمه قد فهمته ، ويزداد حبه لأمه عمقاً ؛ لأنها تدرك مشاعره . وتخدم مودة الأم لطفلها وتكون بمثابة الضماد العاطفى للذات الجريح .

حوارات غير مثمرة :

يصاب الآباء بالإحباط عند التحاور مع الأبناء ؛ لأنه لايؤدى إلى شىء ، كما يصوره الحوار المشهور :

ـ أين ذهبت ؟

ـ إلى الخارج .

ـ ماذا فعلت ؟

ـ لا شىء .

ويكتشف الآباء الذين يحاولون أن يكونوا حصيفين ، كم يصبح هذا مرهِقاً . وكما قالت إحدى الأمهات :

ـ أحاول أن أتفاهم مع ابنى حتى تظهر على وجهى علامات الغضب ، ولكنه لاينصت لى . إنه يسمعنى فقط عندما أصرخ .

وغالباً ما يقاوم الأبناء التحاور مع الآباء . إنهم يمقتون التوبيخ ، وتوجيه الكلام ، والانتقاد ، ويشعرون أن الآباء يلحّون فى الكلام كثيراً . ويقول حسين (ثمانى سنوات) لأمه :

ـ عندما أسألك سؤالاً صغيراً ، لماذا تجيبيننى بمثل هذه الإجابة المطولة ؟

ويفضى لأصدقائه قائلاً :

ـ إننى لا أخبر أمى بشىء ؛ لأنى إذا بدأت فى إخبارها بشىء ، فلن تترك لى وقتاً للّعب .

وسوف يلاحظ أى مراقب مهتم يَنْصِتُ لمحادثة بين أحد الآباء ، وأحد الأبناء المدى الضئيل الذى ينصت فيه كل منهما للآخر . فتبدو المحادثة عبارة عن حديث فردى منفصل عن الآخر ، أحدهما يتكون من نقد وتوجيهات ، والآخر من دفاع ورفض وإنكار .

ولاتكمن مأساة مثل هذا التفاهم فى نقص الحب ، بل فى نقص الاحترام ، ولافى نقص الذكاء ، إنما فى نقص الحذق والبراعة .

ولغتنا اليومية لاتفى ولاتكفى للتفاهم بشكل له معنى وهدف مع الأطفال . وللوصول إلى الأطفال والفوز بهم وللإقلال من خيبة أمل الآباء ، فنحن فى حاجة إلى صيغة جديدة للتفاهم مع الأطفال ، تتضمن طرقاً جديدة للمحادثة والحوار معهم .

القواعد الجديدة للتفاهم :

إن القواعد الجديدة للتفاهم مع الأطفال مبنية على الاحترام والبراعة . إنها تتطلب :

(أ) تلك التصريحات التى تحافظ على احترام الذات بالنسبة للأبناء والآباء .

(ب) تلك التعبيرات التفاهمية التى تسبق النصح والإرشاد .

أشرف (تسع سنوات) يأتى للبيت غاضباً ساخطاً . كان المفروض أن يذهب فى رحلة مع المدرسة ، ولكنها ألغيت بسبب المطر . فقررت أمه أن تستخدم طريقة تفاهم جديدة . وأحجمت عن «الكليشيهات» أو الصيغ المبتذلة التى كانت فى الماضى تعقِّد الأمور أكثر ، مثل :

ـ لا فائدة من البكاء على رحلة ألغيت بسبب المطر .

ـ أمامك رحلات أخرى كثيرة .

ـ أنا لم أتسبب فى المطر ، فلماذا أنت حانق على ؟

وقالت لنفسها :

ـ إن لابنى أحاسيس جيّاشة إزاء إلغاء الرحلة ، إنه حزين لما أصابه من خيبة أمل .

إنه يظهر لى غضبه لأشاركه فى خيبة أمله . إنه صادق مع عواطفه . أستطيع مساعدته بإظهار فهمى واحترامى لأحاسيسه . وقالت لأشرف :

الأم ـ تبدو حزيناً لما أصابك من خيبة أمل .

أشرف ـ نعم .

الأم ـ كنت شغوفاً للقيام بهذه الرحلة .

أشرف ـ طبعاً .

الأم ـ لقد أعددت كل شىء ، ثم جاء المطر اللَّعين .

أشرف ـ نعم ، هذا ما حدث بالضبط .

أعقب ذلك لحظة سكون ، قال أشرف بعدها :

ـ حقاً ، سوف تأتى أيام أفضل .

لقد زال غضبه ، وكان متعاوناً تماماً بقية اليوم . وعادة ـ عندما يعود أشرف للبيت غاضباً ـ تصاب الأسرة كلها بالنَّكد ، ويبدأ فى إغاظة واستفزاز كل شخص فى البيت . ولن يعود السلام والهدوء إلاّ عندما ينام فى الليل .

ما الشىء الخاص فى طريقة التفاهم هذه ، وما عناصر المساعدة ؟

عندما يكون الطفل فى خضمّ عواطفه الجياشة ، فإنه لايستطيع أن ينصت لأحد . إنه لايستطيع أن يقبل النصح أو التعزية أو النقد البناء . إنه يريد منّا أن نفهمه . إنه يريد منا أن نفهم مايعتمل فى داخله فى تلك اللحظة بالذات . علاوة على أنه يريدنا أن نفهمه ، بدون أن يكشف تماماً عما يعانيه . إنها لعبة يفشى فيها القليل فقط مما يحس به ، والباقى يحتاج منا إلى التخمين .

عندما يقول الطفل لنا :

ـ المدرِّسة ضربتنى .

فلا داعى أن تسأله عن مزيد من التفاصيل . ولا داعى لأن تقول له :

ـ ماذا فعلت لتضربك ؟ لابد أنك فعلت شيئاً . ولاداعى حتى أن تقول :

ـ حقاً ، إننى آسف لهذا .

بل نظهر له أننا ندرك ألمه ونفهم ارتباكه وشعوره بالانتقام ، كيف نعرف ما يشعر به؟ ننظر إليه وننصت له ، ونقترب أيضاً من تجاربنا ـ نحن ـ العاطفية . إننا نعرف ما يشعر به الطفل عندما يوضع فى وضع مخزٍ فى مكان عام وفى حضور زملائه ؛ لذلك نستعمل الكلمات التى يعرف الطفل منها أننا نفهم ما قد مر به . وأى من التعبيرات التالية يمكن أن تفى بالغرض :

ـ لابد أنه موقف مربك .

ـ لابد أن ذلك أثار غضبك .

ـ لابد أنك كرهت المدرسة فى ذلك الموقف .

ـ لابد أن هذا آلم شعورك جداً .

ـ كان هذا يوماً سيئاً بالنسبة لك .

إن أحاسيس الطفل الجياشة لاتختفى عندما نقول له :

ـ إن الشعور بهذه الطريقة شىء غير ظريف . أو عندما يحاول الأب أن يقنعه أو الأم أن تقنعه بأنه :

ـ لاداعى أن تشعر بهذه الطريقة :

فالأحاسيس الجياشة لاتختفى بإنكارها ، بل تضعف حدّتها وتفقد شدتها وقسوتها عندما يتقبّلها المُنصِت بالمواساة والفهم .

إن هذه المقولة تبدو صادقة تماماً ليس مع الأطفال فقط ، بل مع الكبار أيضاً ، كما هو واضح من النقاش التالى بين باحثة ومجموعة أمهات :

الباحثة : لنفرض أنه فى صباح أحد الأيام التى يبدو فيها كل شىء جائراً مصاباً بالإخفاق . فيرن جرس التليفون ، ويبكى طفلك الرضيع ، وقبلما تتحركين نحو أى منهما ، تفور القهوة ، أو يحترق الخبز فى المحمصة ، ويتطلع زوجك إلى المحمصة ويقول :

- ياربى ! متى ستتعلمين تحميص الخبز ؟!

فما هو رد فعلك ؟

السيدة أ : سألقى بالمحمصة فى وجهه !

السيدة ب : سأقول له « حمّص خبزك بنفسك ! » .

السيدة جـ : سأتألم جداً ، وربما أبكى .

الباحثة : ما الذى تشعرين به نحو زوجك بسبب كلماته هذه ؟

السيدة أ : الغضب ، الكره ، الغيظ .

الباحثة : هل من السهل عليك أن تقومى بتحميص خبز آخر ؟

السيدة أ : فقط إذا استطعت وضع بعض السم فيه !

الباحثة : وعندما يغادر لعمله ، هل من السهل القيام بأعمال المنزل ؟

السيدة أ : لا ، لقد انهار اليوم كله .

الباحثة : لنفرض فى نفس الوقت ، تطلّع زوجك وقال : مسكينة يا حبيبتى ، إنه صباح شاق بالنسبة لك . . الولد ، والتليفون ، وها هى المحمصة أيضاً !

السيدة أ : كان يغمى عَلَىَّ لو قال زوجى ذلك لى !

السيدة ب : كنت أشعر بإحساس رائع !

السيدة جـ : كنت أشعر بإحساس طيب ، وكنت حضنته وقبّلته .

الباحثة : لماذا ؟ . . فالطفل مازال يبكى ، والخبز لايزال محترقاً ؟

السيدات : هذا لايهم .

الباحثة : وما الفارق ؟

السيدة ب : إنك تشعرين بنوع من الامتنان ؛ لأنه لم ينتقدك . . إنه كان معك ، وليس ضدك .

الباحثة : وعندما يغادر زوجك لعمله ، هل من الصعب عليك القيام بأعمال المنزل؟

السيدة جـ : لا ! بل سأقوم بذلك وأنا أُغَنِّى .

الباحثة : ما رأيكن فى نوع ثالث من الأزواج . يتطلّع إلى الخبز المحترق ويقول لك فى هدوء : دعينى أريك ، يا حبيبتى ، كيف تحمِّصين الخبز :

السيدة أ : أوه ، لا . إنه أسوأ من الزوج الأول ! إنه يشعرك بأنك غبية !

الباحثة : دعونا نرى كيف تنطبق هذه الطرق الثلاث المختلفة لحادث المحمصة على معاملتنا لأطفالنا .

السيدة أ : أفهم ما ترمين إليه . إننى دائماً أقول لابنى : «إنك كبير وتعرف هذا ، إنك كبير وتعرف ذاك » . لابد أن ذلك يثير غضبه .

السيدة ب : أنا دائماً أقول لابنى : «دعنى أبيّن لك ، يا حبيبى ، كيف تفعل هذا أو ذاك .

السيدة جـ : لقد تعودت على الانتقاد ، حتى إنه أصبح أمراً طبيعياً عندى . إننى أستخدم نفس الكلمات التى كانت تستخدمها أمى ضدى بالضبط ، عندما كنت طفلة . وكرهتها بسببها . فلم أفعل أى شىء صحيح على الإطلاق ، وكانت دائماً تجعلنى أعيد فعل كل شىء مرة أخرى .

الباحثة : وأنت الآن تجدين نفسك تستخدمين نفس الكلمات مع ابنتك ؟

السيدة جـ : نعم . ولا أحب ذلك على الإطلاق . . ولا أحب نفسى عندما أفعل ذلك .

الباحثة : إنك تتطلعين إلى طرق أفضل للحديث مع أطفالك .

السيدة جـ : أجل ، بالتأكيد !

الباحثة : دعينا نرى ما نستطيع تعلّمه من قصة الخبز المحترق :

ما الذى ساعد فى تغيير الأحاسيس الوضيعة إلى أحاسيسن محبَّبة ؟

السيدة ب : حقيقة أن شخصاً ما يفهمك .

السيدة جـ : وبدون أن يلومك .

السيدة أ : وبدون أن يقول لك : كيف تتحسنين ؟

يصوّر لنا هذا المثال بإيجاز قوة الكلمات وقدرتها فى توليد العداء أو السعادة . ومغزى القصة أن استجاباتنا (كلمات وأحاسيس) يمكن أن تحدث اختلافاً واضحاً فى جو بيتنا العام .

بعض مبادىء التخاطب :

من الحدث إلى العلاقة .

ـ عندما يروى طفل أى حدث أو يُسأل عنه ، فمن الأفضل دائماً عدم الاستجابة للحدث ، بل للعلاقة الضمنية .

فريدة (ست سنوات) اشتكت أنها «مؤخراً» أصبحت تحصل على هدايا أقل من أخيها . ولم تنكر الأم الشكوى ولم تشرح أن أخاها أكبر ويستحق المزيد . ولم تَعِد بتصحيح الخطأ . وكانت تعرف أن الأطفال يهتمون أكثر بعمق علاقاتهم مع الأمهات عن حجم الهدايا وأعدادها . فقالت الأم :

ـ هل تتساءلين إن كنت أحبك قدر ما أحبه ؟

وبدون أن تضيف جملة أخرى ، احتضنت الأم ابنتها ، التى استجابت بابتسامة تعجب وسرور ـ وكانت هذه نهاية محاورة كان من الممكن أن تصبح جدالاً لانهاية له .

من الحدث إلى الأحاسيس :

عندما يروى طفل حدثاً ما ، فمن المفيد أحياناً عدم الاستجابة للحدث نفسه ، بل للأحاسيس المحيطة به .

مروة (سبع سنوات) ، عادت للبيت متكدرة ، وأخبرت أمها بأن الأولاد دفعوا بصديقتها رشا من فوق الرصيف إلى حفرة مليئة بالمياه ، وبدلاً من أن تسألها عن تفاصيل الحادث ، استجابت الأم لأحاسيس ابنتها ، وقالت :

ـ لابد أنك انزعجت وتكدّرت !

ـ لقد حنقت على الأولاد الذين فعلوا ذلك .

ـ إنك مازلت غاضبة منهم .

وأجابت مروة لكل هذه الأقوال بكلمة «نعم!» التأكيدية . وعندما قالت الأم :

ـ هل تخافين أن يفعلوا هذا بك أيضاً ؟

أجابت مروة فى تصميم :

ـ دعيهم يحاولون ، وسأسحبهم معى . وسيبتلّون بالماء والطين .

وبدأت تضحك على الصورة التى فى ذهنها عن ذلك الموقف . وكانت هذه النهاية السعيدة لمحادثة كان من الممكن أن تصبح موعظة مملّة لنصيحة عديمة النّفع عن طرق الدفاع عن النفس .

وعندما يأتى طفل للبيت مع حشد من الشكوى عن صديق أو مدرِّس أو عن حياته ، فمن الأفضل الاستجابة لمستوى إحساسه ، بدلاً من محاولة تأكيد الحقائق أو تأكيد صحة الأحداث .

جاء تامر (عشر سنوات) للبيت ثائراً هائجاً .

تامر : يا لها من حياة بائسة ! لقد وَصَمتنى المدرِّسة بالكذب ، وقالت : إنى

كاذب؛ لأنى قلت لها : إننى نسيت الواجب المنزلى . وصرخت بأعلى صوتها قائلة : إنها ستكتب لك عن ذلك .

الأم : لقد قضيت يوماً عصيباً .

تامر : هذا ما حصل .

الأم : لابد أنه شيء يعقِّد أن تقول عنك إنك كاذب أمام الفصل كله .

تامر : بالتأكيد .

الأم : أراهن أنك تمنّيت لها فى داخلك عدة أمور !

تامر : أوه ، نعم ! ولكن كيف عرفت ؟

الأم : هذا ما نفعله دائماً عندما يؤذينا أحد .

تامر : هذا إحساس بالارتياح .

من العام إلى الخاص :

عندما يقول الطفل شيئاً عن نفسه ، فليس من المرغوب فيه غالباً الاستجابة بالموافقة أو عدم الموافقة ، ولكن بتفاصيل تحمل للطفل فهماً أبعد مما يتوقع .

فعندما يقول الطفل :

ـ إننى لست صالحاً فى الرياضيات .

فلن يفيد كثيراً أن تقول له :

ـ نعم ، أنت خيبة مع الأرقام .

وليس مفيداً أن نُفَنِّد رأيه أو أن نقدم له نصيحة رخيصة :

ـ إذا ذاكرت أكثر ، ستكون أفضل .

ومثل هذه المساعده المتعجلة تؤذى فقط احترامه الذاتى والدرس اللحظى هو الإقلال من ثقته فقط لا غير .

إن قوله :

ـ إننى لست صالحاً فى الرياضيات .

يمكن أن يقابل بالجدّية والفهم . وأى مما يلى قد يؤدى الغرض .

ـ الرياضيات ليست موضوعاً سهلاً .

ـ بعض المسائل صعب حلها .

ـ إن المدّرس يصعّب الموضوع بنقده .

ـ إنه يجعلك تشعر أنك غبى .

ـ أراهن أنك لاتقدر على الانتظار لانتهاء الحصة .

ـ عندما تنتهى ، تشعر بأمان أكثر .

ـ لابد أن وقت الامتحان أكثر عسراً .

ـ لابد أنك قلق جداً إزاء الفشل .

ـ . . . قلق إزاء ما سوف نفكّر فيه عنك .

ـ . . . تخشى أن يخيب ظننا فيك .

ـ نحن نعلم أن بعض الموضوعات ليست سهلة .

ـ نحن نثق فى أنك ستفعل ما فى وسعك .

ويروى طفل (١٢ سنة) أنه يكاد «يغمى عليه» عندما يتحدث معه والده بمثل هذا الفهم بعدما أحضر معه للبيت التقرير الشهرى الراسب فيه . وكان ردُّ فعله الداخلى :

ـ لابد أن أرتفع لمستوى ثقة أبى فىَّ .

وفى بعض الأحوال النادرة ، يكاد كل أب يسمع ابنه يعلن أو ابنته تعلن :

ـ أنا غبى . . . أنا غبية .

وهو يعلم أن طفله لايمكن أن يكون غبياً ، لذلك ينبرى لإقناعه بأنه ذكى .

الابن : أنا غبى .

الأب : أنت لست غبياً .

الابن : بل غبى .

الأب : لست غبياً . تذكر كم كنت ذكياً فى المعسكر ؟ المشرف عرف أنك من اللمّاحين النجباء .

الابن : كيف عرفت ؟

الأب : لقد قال لى ذلك .

الابن : يا إلهى ، وكيف كان يقول لى إنك غبى طول الوقت ؟

الأب : كان يمزح معك ، ليس إلاّ .

الابن : أنا غبى ، وأعرف ذلك . انظر إلى درجاتى فى المدرسة .

الأب : ما عليك إلاّ أن تبذل جهداً أكبر .

الإبن : لقد بذلت جهداً أكبر من قبل دون جدوى ، ليس لدى مخ .

الأب : أنت ذكى ، وأنا أعرف .

الابن : أنا غبى ، وأنا أعرف .

الأب (بصوت عالٍ) : أنت لست غبياً .

الابن : بل أنا !

الأب : أنت لست غبياً ، ياغبى !

عندما يعلن طفل أنه غبى أو قبيح أو سيىء ، فلا شىء مما يمكننا قوله أو فعله سيُغيّر من صورته الذاتية فى الحال فرأى الشخص المتأصل عن نفسه يقاوم المحاولات المباشرة عند التغيير . وكما قال أحد الأطفال لأبيه :

ـ أنا أعرف حسن مقصدك ، يا أبى ، ولكنى لست ذاك الغبى لأصدق كلامك بأنى ذكى .

فعندما يكوّن طفل رأياً سلبياً عن نفسه ، . فإنكارنا واحتجاجاتنا لاتثمر كثيراً عنده ، بل تولِّد تصريحاً أقوى بإيمانه الراسخ . وأفضل مساعدة نستطيع أن نقدمها هى أن نظهر له أننا لانفهم فقط شعوره العام ، بل وتضميناته :

الابن : أنا غبى .

الأب (جدّيًا) : أنت تشعر بالفعل هكذا ، أليس كذلك ؟ إنك لا تعتقد فى نفسك أنك ذكى .

الابن : لا .

الأب : إذن فأنت تعانى داخليًا بشكل كبير ؟

الابن : نعم .

الأب : وفى المدرسة ، لابد أنك تخاف كثيراً من الوقت .

. . . وتخاف أن تفشل .

. . . وتخاف أن تحصل على درجات متدنِّية .

وعندما ينادى المدرس عليك ، ترتبك .

حتى عندما تعرف الإجابة ، لاتخرجها بشكل صحيح .

وتخاف أن تبدو كلماتك سخيفة مضحكة .

. . . وأن المدِّرس سينتقدك .

. . . وأن الأطفال سيسخرون منك ويضحكون .

وكذلك ، تُفضّل فى أوقات كثيرة ألاّ تقول شيئاً .

أظن أنك تذكر أوقاتاً عندما قلت شيئاً ما وضحكوا منك .

وجعلك هذا تشعر أنك غبى أمام نفسك ، وجرحت وغضبت أيضاً . (هنا قد يخبرك الطفل ببعض من تجاربه) .

ولكنْ لديك رأىٌ مختلفٌ عن نفسك .

قد لاتغير هذه المحادثة صورة الطفل عن نفسه فى الحال ، ولكنها قد تزرع فيه بذرة الشك إزاء عدم فاعليته . وقد يفكّر فى نفسه :

ـ إذا كان أبى يفهمنى ويعتبرنى شخصاً ممتازاً ، فربما أنا لست هذا التافه عديم الجدوى .

وقد تقود المودة ، التى تخلقها مثل هذه المحادثة ، الابن ليحاول أن يصل إلى إيمان أبيه به .

وعندما يقول طفل :

ـ أنا لم ألق حظًا سعيداً مطلقاً .

فلن يغير إيمانه أى جدل أو تفسير ؛ لأن كل حالة حظ سعيد نذكرها له ، سيأتى لنا بحكايتين من سوء الحظ . وكل ما نستطيع عمله ، هو أن نظهر له كيف نفهم بشكل صميم الشعور الذى قاده لاعتقاده :

الإبن : أنا لم ألق حظاً سعيداً مطلقاً .

الأم : إنك تشعر بالفعل هكذا ؟

الإبن : نعم .

الأم : ولذلك عندما تلعب مباراة مثلاً تفكر داخل نفسك : «إننى لن أكسب . فليس عندى حظ» .

الإبن : نعم ، هذا بالضبط ما أفكر فيه .

الأم : وفى المدرسة ، إذا عرفت الإجابة تفكر : «اليوم لن يوجه المدرس لى السؤال» .

الإبن : نعم .

الأم : ولكن إذا لم تعمل الواجب المنزلى ، تفكر : «اليوم سوف ينادى علىَّ» .

الإبن : نعم .

الأم : أظن تستطيع أن تعطينى كثيراً من الأمثلة .

الإبن : بالتأكيد . . مثل (يعطى الطفل أمثلة) .

الأم : أنا مهتمة بما تفكر فيه بخصوص الحظ . . إذا حدث أمر ما تفكر أنه حظ سيىء ، أو حتى حظ سعيد ، تعال واحك لى ، وسنتحدّث عنه .

إن هذه المحادثة ، قد لاتغير إيمان الطفل بسوء حظّه . ومع ذلك ، قد تحمل له كم هو محظوظ ليكون له مثل هذه الأم المتفاهمة .

صوت تكافؤ الضدين :

الأطفال يحبوننا ويستاءون منا فى نفس الوقت . إنهم يشعرون بالاتجاهين نحو الآباء ، والمدرسين ، وجميع الأشخاص الذين لديهم سلطة ونفوذ عليهم . ويجد الآباء صعوبة فى قبول تكافؤ الضدين كحقيقة من حقائق الحياة . إنهم لايحبونها فى أنفسهم ، ولايستطيعون أن يتسامحوا فيها فى أطفالهم . ويعتقدون أن هناك أمراً ما خطأ بشكل متأصل فى الشعور باتجاهين نحو الناس ، خصوصاً نحو أفراد الأسرة .

ويمكننا تَعَلُّم أن نقبل وجود مشاعر تكافؤ الضدين فى أنفسنا وفى أطفالنا . ولتجنّب خلافات غير ضرورية ، يحتاج الأطفال أن يعرفوا أن مثل هذه الأحاسيس سليمة وطبيعية . ويمكننا أن نجنّب الطفل كثيراً من الذنب والقلق عن طريق الاعتراف بمشاعر تكافؤ الضدين ، والتعبير عنها :

ـ يبدو أنك تشعر باتجاهين نحو مدرّسك : إنك تحبه وتكرهه .

ـ يبدو أنك تشعر باتجاهين نحو أخيك الأكبر : إنك تعجب به ، ولكنك تستاء منه أيضاً .

ـ لديك فكرتان إزاء الموضوع ؛ تود أن تذهب إلى المعسكر ، ولكنك تريد أيضاً أن تبقى فى البيت .

إن الحديث الهادىء غير الانتقادى عن تكافؤ الضدّين الذى يحس به الأطفال سيساعدهم ؛ لأنه سيبلغهم أنه حتى مشاعرهم «المختلطة» ليست بعيدة عن الفهم والإدراك .

وكما قال أحد الأطفال :

ـ إذا أمكن فهم أحاسيسى المختلطة ، فهى ليست مختلطة لهذه الدرجة .

وعلى العكس نجد التعبيرات التالية أو ما يشابهها ليست مفيدة على الإطلاق :

ـ يا ولد ، إنك مشوش ! مرة تحب صديقك ، ثم تغتاظ منه وتشكر مرة أخرى . حدّد رأيك ، إن كان لك رأى .

وهناك رأى حصيف عن الحقيقة البشرية يضع فى اعتباره إمكانية وجود بعض الكراهية أيضاً ، حيث يوجد الحب ؛ وبعض الحسد أيضاً ، حيث يوجد الإعجاب ؛ وبعض العداء كذلك ؛ حيث يوجد الإخلاص ؛ وبعض الخوف من شر مرتقب ، حيث يوجد النجاح .

إن الإنسان فى حاجة إلى حكمة عظيمة لإدراك أن جميع الأحاسيس شرعية ومنطقية : الإيجابية ، والسلبية ، ومتكافئة الضدّية

وليس من السهل قبول مثل هذه المفاهيم أو الأفكار داخلياً . فتوجيهات طفولتنا وتربية صبانا تميل بنا إلى رأى معاكس . لقد تعلمنا أن الأحاسيس السلبية «سيئة» ، ويجب ألا نشعر بها أو يجب أن نخجل منها . والاتجاه الحديث والعلمى يصرّح بأن

الأفعال الواقعية يمكن الحكم عليها بأنها «سيئة» أو «جيدة» ، أما الأفعال الخيالية فلا . والسلوك أو التصرّف فقط هو الذى يمكن أن يُذَمَّ أو يُمدح ، أما الأحاسيس فيجب ألا تذمّ أو تمدح . والحكم على الأحاسيس واستهجان الخيال قد يتسبب فى العنف والقسوة على كل من الحرية السياسية والصحة العقلية .

والعواطف جزء من جيناتنا الوراثية . فالسمك يسبح ، والطيور تطير ، والناس تشعر وتحس . ونحن أحياناً سعداء ، وأحياناً لا ؛ ولكن أحياناً فى حياتنا ما نتأكد من أننا نحس بالغضب والخوف ، والحزن والفرح ، والطمع والذنب ، والشهوة والازدراء ، والبهجة والاشمئزاز . وبينما لانكون أحراراً فى اختيار العواطف التى تنشأ فينا ، نكون أحراراً فى اختيار كيفية التعبير عنها ، ومتى ، بشرط أن نعرف ماهى . وتلك هى أس المشكلة . فكثير من الناس قد تربّوا دون أن يعرفوا ماهى أحاسيسهم . فعندما كانوا يكرهون ، كان يقال لهم هذا مجرد نفور . وعندما كانوا يخافون ، كان يقال لهم ليس هناك شىء لتخافوا منه . وعندما كانوا يشعرون بالألم ، كانوا يُنصحون بأن يكونوا شجعاناً ويبتسمون . ومعظم أغانينا المشهورة تقول لنا :

« تظاهر بأنك سعيد عندما لاتكون كذلك » .

وماهو المقترح بدلاً من التظاهر والادعاء ؟

فالتربية العاطفية يمكنها أن تساعد الأطفال فى معرفة مايحسون به . ومن المهم للطفل أن يعرف ما يحس به أكثر من : لماذا يحس به . وعندما يعرف بوضوح ماهى أحاسيسه ، فلن يتعرض للإحساس «بالتشويش» داخلياً .

مـرآة الشخصيـة :

كيف نستطيع مساعدة الطفل فى معرفة أحاسيسه ؟

يمكننا عمل ذلك بوضع أنفسنا كمرآة لعواطفه . فالطفل يتعلّم عن تكوينه المادى بالنظر لصورته فى المرآة . ويتعلّم عن تكوينه العاطفى بسماع أحاسيسه التى نعكسها له .

ووظيفة المرآة هى انعكاس الصورة كما هى ، دون إضافة تزويق أو مثالب .

نحن لانريد مرآة تقول لنا :

ـ إن شكلك رهيب وعينيك متورمتان ووجهك منتفخ . و(كلك على بعضك) كارثة . ويستحسن أن تفعل شيئاً فى شكلك . . ما أقبح شكلك !

ومثل هذه المرآة السحرية سوف نتجنّب الوقوف أمامها كما نتجنب مرض الإيدز . نحن نريد من المرآة صورة ، وليس موعظة أو تقريعاً . قد لانعجب بالصورة التى نراها ، ومع ذلك ، قد نقرر لأنفسنا حركة التجميل التالية .

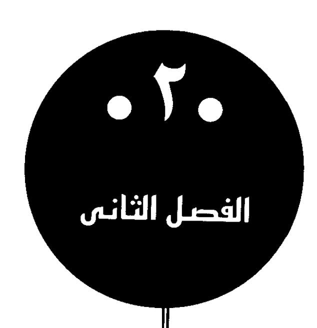
إن وظيفة المرآة العاطفية هى عكس المشاعر كما هى ، بدون تشويه :

ـ تبدو وكأنك غاضب جداً .

ـ تظهر وكأنك تكرهه جداً .

ـ يتضح أنك مشمئز من الوضع كله .

إن هذه العبارات ، لطفل لديه مثل هذه المشاعر ، مفيدة جداً . فهى تُظهر له بوضوح ماهى مشاعره . إن وضوح الصورة ، سواء فى مرآة عادية أو فى مرآة عاطفية ، تتيح الفرصة للمبادرة الذاتية للتجميل والتغيير .



طرق جديدة للثناء والنقد



حادثة طفاية السجائر الطائرة :

قصة ذات مغزى أخلاقى :

ذات يوم قالت لى إحدى قريباتى :

ـ تخيل ماذا حدث ، كنا فى السيارة ، كل العائلة . وبعد رحلة طويلة من جنوب سيناء كنا عائدين إلى القاهرة ، وفى مؤخرة السيارة كان عبد الحفيظ جالساً كالملاك ، هادئاً ، ومستغرقاً فى التفكير . فقلت لنفسى ، «إنه يستحق بعض الثناء » . وكنا داخلين لتونا نفق أحمد حمدى ، عندما استدرت إليه وقلت : «إنك ولد ممتاز يا عبد الحفيظ ، إنك تتصرف بشكل جميل . أنا فخورة بك !

وبعدها بثوان سقطت السماء علينا . فلقد سحب عبد الحفيظ طفاية سجائر وألقى بها فيها فوقنا . الرماد ، وأعقاب السجائر ، وعبق الدخان المكان مثل الغبار الذرى المتساقط . كنا فى النفق وسط زحمة المرور ، وكنا مختنقين منفعلين . كنت أود أن أقتله . ولولا السيارات الأخرى التى من حولنا لقتلته فى الحال . والذى أثارنى وزاد من انفعالى أننى كنت قد مدحته لتوى ، وأثنيت عليه بكل صدق وإخلاص . ألم يعد الثناء مفيداً للأطفال ؟

وبعدها بأسابيع أفشى عبد الحفيظ نفسه سبب الانفجار . فطوال طريق العودة كان يتساءل : كيف يتخلص من أخيه الأصغر ، الذى كان يحتمى فى أمه وأبيه ، ويجلس بينهما مستمتعاً بالدفء والقُرب منهما فى مقدمة السيارة . وأخيراً خطرت له فكرة أنه لو أن سيارتهم قد شقت بسكين فى المنتصف طولياً ، فسيكون هو ووالدا فى

أمان ، ولكن الطفل سيشق اثنين . عندئذ هنّأته أمه على طيبته فجعله الثناء يشعر بالذنب ، وأراد يائساً أن يظهر أنّه لايستحق هذا الثناء . وتطلع حوله ، فرأى طفاية السجائر ، ولقد أتت البقية على الفور .

مدح الإنجازات أو الشخصية :

معظم الناس يعتقدون أن المديح يبنى ثقة الطفل ، ويجعله يشعر بالأمان . وفى الواقع ، قد يتسبب المديح فى التوتر وسوء السلوك ، لماذا ؟

كثير من الأطفال لديهم ، من حين لآخر رغبات هدامة إزاء أفراد من أسرتهم . عندما يقول الآباء للطفل :

ـ إنك ولد طيب .

فقد لايستطيع أن يقبل ذلك ؛ لأن صورته عن نفسه مختلفة تماماً . فى نظره هو ، لايمكن أن يكون «طيباً» عندما كان يرغب مؤخراً أن يكون على فم أمه سدادة أو أن يقضى أخوه عطلة الأسبوع القادم فى المستشفى . فى الحقيقة، كلما كالوا له المديح ، ساء سلوكه ليظهر «ذاته الحقيقية» . وكثيراً ما يصرّح الآباء أنه بعد مدح الطفل لتصرف طيب ، يبدأ فى العبث ، وكأنه يدحض مديحه ويثبت بطلانه .

ومن المحتمل أن ذلك «التمرد» هو طريقة الطفل فى إبلاغه عن تحفظاته الخاصة ومايضمره إزاء صورته العامة .

مدح مرغوب فيه وغير مرغوب فيه :

هل معنى ذلك أن المدح حالياً «غير مرغوب فيه» على الإطلاق ؟

إن المدح ، مثل البنسلين ، يجب ألا يكون بسبب وبدون سبب . فهناك ضوابط وتحذيرات تتحكم فى تناول الأدوية الفعالة . . ضوابط إزاء المواعيد والجرعات ، وتحذيرات بخصوص حدوث ردود الفعل الانتكاسية . وهناك قواعد وتعليمات مشابهة

إزاء تناول الأدوية العاطفية والقاعدة الوحيدة الهامة هى أن يتعامل المدح فقط مع جهد الطفل و إنجازاته ، لا مع شخصيته وصفاته .

عندما ينظّف الولد حجرته ويرتّبها ، فمن الطبيعى فقط التعليق على الجهد الذى بذله فى هذا العمل ، وكيف أصبحت الحجرة جميلة المنظر . وإخباره كم هو طيب ، أمر بعيد تماماً وغير ملائم ، يجب أن تكون كلمات الثناء مرآة تعكس للطفل صورة حقيقية لإنجازاته ، لا صورة إعلانية مبالغ فيها لشخصيته .

والأمثلة التالية تصوّر ثناءً مرغوباً فيه :

مدحت (٨ سنوات) قام بمهمة عظيمة ، وهى تنظيف الساحة الخارجية للبيت . التقط الأوراق ، وأزال القمامة ، ورتَّبَ الأدوات والعدد التى بها . فتأثرت الأم وعبّرت عن إعجابها بجهده و إنجازاته :

الأم : الساحة كانت متسخة جداً . لم أكن أظن أنها يمكن أن تكون بهذه النظافة فى يوم واحد .

مدحت : لقد أتممتها أخيراً !

الأم : كانت مليئة بالأوراق والقمامة والأدوات .

مدحت : نظفتها كلها .

الأم : ياله من عمل !

مدحت : فعلاً .

الأم : الساحة نظيفة تماماً الآن ، إنها متعة للناظرين .

مدحت : ومرتَّبة .

الأم : شكراً يابنى .

مدحت (مع ابتسامة عريضة) : العفو .

إن كلمات الأم جعلت مدحت يشعر بالسعادة على الجهد الذى بذله ، وفخوراً

بإنجازاته . وتطلع فى ذلك اليوم إلى عودة والده إلى البيت ؛ ليريه الساحة بعد تنظيفها، وليشعر مرة أخرى فى داخله بالفخر والزهو للعمل الذى أحسن إنجازه .

وعلى العكس ، فإن كلمات الإطراء التالية الموجهة لشخص الطفل لاتفيد :

ـ إنك ولد مدهش .

ـ صحيح أنك مساعد أمك الصغير .

ـ ماذا كانت تفعل أمك بدونك ؟

إن مثل هذه التعليقات قد تهدد الطفل ، وتسبب له القلق . فقد يشعر بأنه بعيد عن كونه مدهشاً ، وأنه غير قادر على الحفاظ على هذه الصفة ؛ ولذلك بدلاً من الانتظار المخيف يفتضح أمره على أنه مخادع محتال ، فقد يقرر أن يخفف حمله فى الحال ويجهر بإساءة السلوك .

إن الإطراء المباشر للشخصية ، مثل ضوء الشمس المباشر ، مؤذ وغير مريح . إنه لأمر مربك أن يقال لامرىء : إنه مدهش ، وملائكى ، وكريم ، ومتواضع . إنه يشعر بالاستدراج لينكر على الأقل جزءاً من الإطراء . فهو لا يمكن أن يقف ويقول علانية :

ـ شكراً ، إننى أقبل كلامك بأننى مدهش . ولابد أيضاً أنه بصفة خاصة سيرفض مثل هذا الإطراء .

إنه لايمكن أن يقول لنفسه بأمانة :

ـ أنا مدهش . أنا ممتاز وقوى وكريم ومتواضع .

وقد لايرفض الإطراء فقط ، بل قد يغيّر فكره إزاء هؤلاء الذين مدحوه :

ـ إذا كانوا يجدوننى بهذه العظمة ، فلا يمكن أن يكونوا أذكياء على هذا النحو .

كلماتنا واستنتاجات الطفل :

يجب ألا يوجه المديح لميزات الطفل الشخصية ، ولكن لجهوده وإنجازاته . ويجب

أن تصاغ تعليقاتنا بطريقة يخرج الطفل منها باستنتاجات إيجابية عن شخصيته :

سامى (١٠ سنوات) ساعد أباه فى إعادة ترتيب حجرة الطعام . وكان عليه أثناء ذلك تحريك بعض قطع الأثاث .

الأب : هذه المائدة ثقيلة جداً . ومن الصعب تحريكها .

سامى (بفخر) : ولكنى حرّكتها .

الأب : إنها تحتاج إلى قوة هائلة .

سامى (يُبرز عضلاته) : أنا قوى .

فى هذا المثال ، علّق الأب على صعوبة المهمة . والطفل نفسه هو الذى خرج باستنتاج قوته الشخصية . ولو كان الأب قال :

ـ إنك قوى جداً ، يا بنى !

فربما أجاب سامى :

ـ لا ، أنا لست قوياً . يوجد أولاد أقوى منى فى الفصل .

وقد يتبع ذلك جدال عقيم ، إن لم يكن مريراً .

التعبيرات الصامتة والصورة الذاتية .

للإطراء جزءان : كلماتنا واستنتاجات الطفل .

يجب أن تبين كلماتنا بوضوح أننا معجبون بجهد الطفل ، وعمله ، وإنجازه ، ومساعدته ، وتفكيره أو ابتكاره . يجب أن تكون كلماتنا مصوغة بطريقة يخرج منها الطفل بشكل شبه حتمى باستنتاج واقعى عن شخصيته . يجب أن تكون كلماتنا كاللوحة السحرية التى لايمكن للطفل إلاّ أن يرسم عليها صورة إيجابية لنفسه . والأمثلة التالية تصور هذه النقطة :

مديح مفيد : شكراً لتنظيفك للزجاج . إنه يبدو جديداً ثانيةً .

استنتاج : لقد قمت بمهمة جيدة . ونال عملى الاستحسان .

(مديح غير مفيد : إنك ملاك) .

مديح مفيد : لقد أعجبت بالبرنامج الذى قدمته . كان جميلاً وذكياً .

استنتاج : إن عندى حسن ذوق ، ويمكن الاعتماد على اختياراتى .

(مديح غير مفيد : إنك دائماً تراعى مشاعر الآخرين) .

مديح مفيد : إن قصيدتك لمست قلبى .

استنتاج : أنا سعيد بأنى أستطيع نظم الشعر .

(مديح غير مفيد : إنك شاعر عظيم بالنسبة لسنك) .

مديح مفيد : المكتبة التى أقمتها جميلة .

استنتاج : أنا قادر .

(مدير غير مفيد : إنك نجّار ممتاز) .

مديح مفيد : رسالتك جلبت لى سعادة عظيمة .

استنتاج : أستطيع إسعاد الآخرين .

(مديح غير مفيد : بالنسبة للرسائل ، فأنت رائع) .

مديح مفيد : أقدِّر جداً غسلك الأطباق اليوم .

استنتاج : أنا مفيد .

(مديح غير مفيد : لقد قمت بعمل أفضل من الشغّالة) .

مديح مفيد : شكراً لإخبارى بأننى أعطيتك نقوداً أكثر .
إنى أقدّر ذلك جداً .

استنتاج : أنا سعيد أنى كنت أميناً .

(مديح غير مفيد : إنك طفل أمين جداً) .

مديح مفيد : موضوع الإنشاء الذى كتبته أعطانى عدّة أفكار جديدة .

استنتاج : يمكننى أن أكون مبدعاً .

(مديح غير مفيد : كتابتك جيدة بالنسبة لسنك . بالطبع ، مازلت فى حاجة لتعلم الكثير) .

مثل هذه الأقوال التصويرية واستنتاجات الطفل الإيجابية هى قوالب البناء للصحة العقلية . وما يستنتجه الطفل عن نفسه استجابة لكلماتنا يعيدها فيما بعد فى صمت لنفسه . ويكرر الطفل التعبيرات الواقعية الإيجابية داخلياً ، فتحدد إلى مدى كبير رأيه السليم عن نفسه وعن العالم من حوله .

النقد : بنّاءً وهدّاماً

متى يكون النقد بناءً ومتى يكون هدّاماً ؟ يقتصر النقد البنّاء على تحديد كيفية عمل ما يجب عمله ، مع حذف التعليقات السلبية حول شخصية الطفل تماماً .

رامى (١٠ سنوات) أراق كوب الحليب ، عن غير قصد ، فوق مائدة الطعام عند الإفطار .

الأم : لست صغيراً حتى لاتعرف كيف تمسك بكوب ! كم مرة قلت لك : يجب أن تكون حريصاً !

الأب : إنه أخرق . . لايتمالك نفسه . إنه هكذا دائماً وسيظل هكذا دائماً .

لقد سكب رامى حليباً قيمته لاتتعدى خمسين قرشاً ، ولكن السخرية اللاّذعة التى تلت الحادث قد تُكلف كثيراً كثيراً فى مجال فقدان الثقة . عندما تحدث أمور بشكل خاطىء فليس الوقت مناسباً لتعليم المخطىء عن شخصيته . وعندما تحدث أمور بشكل خاطىء ، من الأفضل التعامل فقط مع الحدث ، لا مع الشخص .

كيف تتصرف عندما يسىء الطفل التصرف:

عندما أراق فتحى (٨ سنوات) الحليب ، عن غير قصد ، على المائدة ، قالت أمه بهدوء :

ـ أرى الحليب انسكب على المائدة . إليك كوباً آخر من الحليب ، وهاهى ذى إسفنجة .

وتقوم الأم وتناول الحليب والإسفنجة لابنها . ويتطلع فتحى إليها فى ارتياح غير مصدّق ، ويتمتم قائلاً :

ـ الحمد لله . شكراً يا ماما .

وينظف المائدة وتساعده أمه فى نفس الوقت . ولم تضف أية تعليقات جارحة أو عتاب لا جدوى له . ورَوَت الأم :

ـ كنت على وشك أن أقول : كن حريصاً فى المرة القادمة . ولكن عندما شاهدت مدى امتنانه لسكوتى الكريم ، آثرت الصمت ولم أقل شيئاً . فى الماضى ، كان الصراخ على الحليب المراق قد يفسد الجو العام طوال اليوم كله .

كيف تســوء الأمــور :

فى كثير من البيوت تتطوّر العواصف بين الآباء والأبناء فى سياق متوال عادى ومعروف . الطفل يفعل أو يقول شيئاً «باطلاً» ويكون رد الفعل من الأب أو الأم بشىء مهين ، فيجيب الطفل بشىء أسوأ . فيرد الأب أو الأم بتهديدات عنيفة أو بعقاب بدنى شديد . وتشتعل الدنيا على المشاع .

كان هشام (٩ سنوات) يلعب بفنجان شاى فارغ .

الأم : ستكسره . إنك تكسر الأشياء وتهشمها دائماً .

هشام : لا ، **أنا لا أهشّم .**

ويسقط عندئذ الفنجان على الأرض ويتهشم .

الأم : قلت لك ، ياغبى . إنك تكسر كل شىء فى المنزل .

هشام : وأنت غبية ، أيضاً . لقد كسرت ماكينة حلاقة أبى الكهربائية .

الأم : أتقول لأمك غبية ! إنك وقح وصفيق !

هشام : أنت وقحة وصفيقة . قلت لى ياغبى أولاً .

الأم : ولا كلمة يا سافل ! اذهب إلى حجرتك فوراً !

هشام : هيا ، أدخلينى حجرتى إن استطعت !

وعند هذا التحدى السافر لاحترامها ، تثور الأم غضباً ، وتمسك بتلابيب ابنها وتبدأ فى ضربه على مؤخرته بضراوة . ويحاول هشام الفرار ، وعند تملصه من أمه يدفع بها فى زجاج الباب ، وينكسر الزجاج وتجرح يد الأم . ويصاب هشام بالذعر عند رؤية الدم . ويركض هارباً من المنزل ، ولايعثرون عليه حتى ساعة متأخرة من الليل . ولا مدعاة للقول بأن جميع أهل المنزل قد انزعجوا ولم يذق أحد طعم النوم فى تلك الليلة .

وسواء تعلّم هشام الابتعاد عن فناجين الشاى أم لا ، فهذا أقل أهمية من الدرس السلبى الذى تعلّمه عن نفسه وعن أمه . والسؤال هو : هل هذه المعركة ضرورية ؟ هل هذا الشجار حتمى ، أو من الممكن معالجة مثل هذه الأحداث بحكمة أكثر ؟

عندما رأت الأم ابنها يدحرج الفنجان ، كان يمكنها إبعاده وتوجيه ابنها إلى بديل يناسبه أكثر مثل الكرة . أو عندما تهشم الفنجان ، كان يمكنها مساعدة ابنها فى التخلص من شظاياه ، مع التعليق بأن الفناجين تتهشم بسرعة ، ومن يفكر فى أن فنجاناً صغيراً هكذا يمكن أن يتسبب فى مثل هذه الفوضى الكبيرة . وقد تبعث مثل هذه الجملة الهادئة إلى مايدهش . فنجد هشاماً يحاول أن يكفّر عن خطئه ، ويعتذر عن الحادث المؤسف . ومع غياب الصراخ والضرب ، قد يستنتج من نفسه أن الفناجين ليست مصنوعة للدحرجة .

نوائب صغيرة وقيم كبيرة :

ويستطيع الأطفال تعلم دروس كبيرة فى القيم من النوائب الصغيرة . ويحتاج الطفل أن يتعلم من والديه أن يميز بين الأحداث التى هى مجرد أمور مزعجة أو مؤسفة وتلك المأساوية المفجعة . وكثير من الآباء ينفعلون أمام كسر بيضة وكأنها كسر ساق ، ويواجهون تحطيم النافذة كما لو أنها تحطيم قلب . يجب أن تواجه المحن الصغيرة مع الأطفال كالآتى :

ـ وهكذا ضيعت منديلك ثانية ـ إنه شىء يضايق ، لأن المنديل له ثمن . إنه يستدعى الأسف ، ولكنه لانكبة ولا فاجعة .

إن فقدان المنديل لايستدعى فقدان الأعصاب ، وتمزيق القميص لايتسبب فى أن يكون مأساة من المآسى الإغريقية .

النعوت البذيئة : ما عيب السّباب ؟

النّعوت البذيئة مثل السهام السامة يجب استخدامها ضد الأعداء ، لا ضد الأطفال الصغار . عندما يقول امرؤ :

ـ هذا كرسى قبيح .

لايحدث أى شىء للكرسى . وهو لايشعر بإهانة أو ارتباك . ويظل على حاله بِغَضِّ النظر عن السُّبَّةِ التى لحقت به . ومع ذلك ، عندما يوصف الطفل بأنه قبيح أو غبى أو أخرق ، فإنه يحدث شىء ما للطفل . فهناك ردود فعل فى بدنه وفى روحه . هناك امتعاض وغضب وكراهية . هناك تخيلات للانتقام . وهناك إحساس بالذنب إزاء هذه التخيلات ، وينجم القلق من جرّاء الذنب ، وقد تظهر أعراض وتصرفات غير مرغوب فيها . ومجمل القول ، هناك سلسلة من ردود الفعل تجعل الطفل وأبويه بؤساء بؤساء !

عندما يُدعى طفل بأنه أخرق ، قد يجيب فى أول وهلة :

ـ لا ، أنا لست أخرق

ولكن ، غالباً ما يصدق والديه ، ويبدأ يفكر فى نفسه على أنه شخص أخرق ، وعندما يتصادف ويتعثر أو يسقط ، فقد يخاطب نفسه بصوت عال :

ـ إنك شخص أخرق تعوزه الرشاقة والرقة .

وعلى ذلك ، يتفادى المواقف التى تتطلب رشاقة وسرعة تصرف ؛ لأنه مقتنع بأنه لن ينجح لعيب فى تكوينه .

وعندما يقول الآباء أو المدرسون لطفل إنه غبى ، فسيصدق ذلك فى يوما ما . ويبدأ اعتقاده فى نفسه ذلك ويتفادى الجهود العقلية ، شاعراً أن هروبه من السخرية يكمن فى تجنبه للنضال والمنافسة . وسلامته متوقّفة على عدم المحاولة . ويصبح شعاره فى الحياة :

ـ إن لم أحاول ، فلا يمكن أن أفشل . ومن خاف سلم .

معالجة غضبنا :

فى طفولتنا ، لم نتعلم كيف نتعامل مع الغضب كحقيقة من حقائق الحياة . لقد نشأنا على أن نشعر بالذنب فى معاناته ، وبالإثم فى التعبير عنه ، وعلى الاعتقاد بأنه شىء سيىء ، ولم يكن الغضب مجرد عمل سيىء بل كان جناية .

ومع أطفالنا ، نحاول أن نكون صبورين ؛ وفى الحقيقة صبورين أكثر من اللازم لدرجة أننا لابد أن ننفجر إن آجلاً أو عاجلاً . ونخشى أن يكون غضباً مضراً لأطفالنا ؛ لذلك نختزنه ونمسك به داخلنا ، كما يمسك الغطّاس بأنفاسه ، وفى كلتا الحالتين قدرة الاختزان محدودة .

والغضب مثل نزلات البرد ، مشكلة متكررة . قد لانحبها ، ولكننا لايمكن أن نتجاهلها . قد نعرفه بشكل مفصّل ، ولكننا لا يمكن أن نمنع ظهوره . وينشأ الغضب فى مواقف وأحوال يمكن التنبؤ بها ، إلاّ أنه يبدو دائماً مباغتاً غير

متوقـع . وبالرغـم مـن أنـه لايـدوم كثـيراً ، فـإنه يبـدو أبـدياً لأول وهـلة .

وعندما نفقد أعصابنا ، نتصرف وكأننا قد فقدنا سلامة عقلنا . فنقول ونفعل أشياء لأطفالنا قد نتردد أن ننزلها بأعدى الأعداء ، فنصرخ ، ونكيل الإهانات ، والضرب تحت الحزام . وعندما تنتهى الجعجعة ، نشعر بالذنب ونقرر بجدية ألاّ نكرر هذه المهزلة ثانية . ولكن الغضب يشب فوراً مرة أخرى ، ويفسد نوايانا الطيبة ، ونعود لجلد هؤلاء الذين نكرس حياتنا وثرواتنا لخيرهم .

والتصميم على عدم الغضب لا طائل تحته . فهو يضيف الوقود للنار . الغضب مثل الإعصار ، حقيقة واقعة يجب الاعتراف بها والإعداد لها . والبيت الهادىء المسالم مثل العالم الذى بلا حروب ، الذى نأمل فيه ـ لايعتمد على تغير كريم مفاجىء فى الطبيعة البشرية . بل يعتمد على إجراءات مدروسة ومتروية تقلل بشكل نظامى التوترات قبلما تؤدى إلى انفجارات .

وهناك مكان لغضب الآباء فى تربية الطفل . وفى الحقيقة عدم الغضب فى لحظات معنية قد ينقل للطفل عدم المبالاة، لا الطيبة والصلاح . وهؤلاء الذين يهتمون لايستطيعون تلافى الغضب كلية . وهذا لايعنى أن الأطفال يمكنهم تحمل طوفان الغضب وعنفه ؛ بل يعنى فقط أنهم يستطيعون تحمّل وفهم الغضب الذى يقول :

ـ هناك حدود لتسامحى .

وبالنسبة للآباء ، فالغضب عاطفة مكلّفة : ولكى يستحق ثمنه لايجب استخدامه بدون فائدة . ولايجب استخدام الغضب للزيادة فى التعبير . فالعلاج يجب ألا يكون أسوأ من المرض ؛ ولذلك يجب أن يجلب الغضب بعض الراحة للأب أو الأم وبعض التّبصُّر للطفل ، وبدون آثار جانبية مضرة لأى منهم . وهكذا يجب ألا نوبخّ طفلاً أمام أصدقائه ؛ لأن ذلك يزيد من تمرده ، والذى يجعلنا بالتالى أكثر غضباً . إننا لا نرغب فى خلق موجات من الغضب والتحدى والثأر والانتقام . بل بالعكس ، نحن نريد أن تتلاشى السحب العاصفة .

ثلاث خطوات للنجاة :

لإعداد أنفسنا فى أوقات السلم للتعامل مع الأوقات العصيبة ، يجب أن نعترف بالحقائق التالية :

١ ـ نقبل حقيقة أن الأطفال سوف يثيرون غضبنا .

٢ ـ أننا مؤهلون لأن نغضب بدون معصية أو خجل .

٣ ـ نحن مخوّلون للتعبير عما نشعر به . يمكننا التعبير عن مشاعرنا الغاضبة على شرط ألاّ نهاجم شخصية الطفل أو خصائصه .

يجب تطبيق هذه الافتراضات للتعامل مع الغضب بطريقة صلبة متينة . والخطوة الأولى فى تناول المشاعر العنيفة هى تحديدها بالاسم وبصوت عال . ويعطى هذا تحذيراً لمن يهمه الأمر ؛ ليقوم بتعديلات أو يتخذ الاحتياطات :

ـ إنى أشعر بالضيق !

ـ إنى أشعر بالسخط !

وإذا لم تثمر تعبيراتنا الموجزة ووجوهنا المكفهرة فى جلب الراحة ، ننتقل إلى الخطوة الثانية . نعبّر عن غضبنا بتأكيد أكثر :

ـ إنى أشعر بالغضب !

ـ إنى غاضب جداً !

ـ إنى غاضب جداً جداً !

ـ إنى أشعر بالغليان !

وأحياناً مجرد ذكر مشاعرنا (بدون تفسير) تُوقف الطفل عن التمرد . وفى أوقات أخرى قد يكون ضرورياً الانتقال إلى الخطوة الثالثة ، وهى إعطاء سبب لغضبنا ، وذكر ردود أفعالنا الداخلية ، وسلوكنا المرتقب :

ـ عندما أرى الأحذية والجوارب والقمصان ملقاة على الأرض أُصاب بالغضب، وأشعر بالغيظ . وأود أن أفتح النافذة وألقى بكل الفوضى فى وسط الشارع .

ـ عندما أراك تضرب أخاك أخرج عن وعيى . وأثور داخلياً وأرى كل ما حولى باللون الأحمر . وأبدأ فى الغليان . لايمكننى أن أسمح لك بضربه أبداً .

ـ عندما أراكم جميعاً تندفعون بعد العشاء مباشرة نحو التليفزيون وتتركوننى مع الأطباق المتسخة والأوانى الملوثة ، أشعر بالإجرام ! وأكاد أجن ! أشعر برغبة شديدة فى أخذ كل الأطباق وكسرها فوق التليفزيون !

ـ عندما أنادى عليكم للعشاء ولا تأتون ، أصاب بالغضب ، ويجن جنونى . وأقول لنفسى : لقد أعددت طعاماً لذيذاً وأنتظر التقدير لا الإحباط .

إن هذه الطريقة تسمح للأمهات بالتنفيس عن غضبهن بدون التسبب فى أية خسائر . بل على العكس ، فقد تبيّن درساً هاماً فى كيفية التعبير عن الغضب بشكل آمن . وقد يتعلم الطفل أن غضبه ليس كارثة أو نهاية المطاف ، وأنه يمكنه تفريغه والتخلص منه بدون تحطيم لأحد . وسيتطلب هذا الدرس أكثر من مجرد تعبير الآباء عن الغضب . سيتطلب أن يشير الآباء لأطفالهم إلى القنوات المقبولة للتعبير العاطفى ويبينوا لهم الطرق الآمنة والمحترمة فى التخلص من الغضب .

٣

الفصل الثالث

تجنب النماذج الانهزامية
(التى تأتى بعكس المراد)

بعض النماذج المتعلّقة بالأطفال كثيراً ما تكون انهزامية ، وليست فقط فاشلة فى إحراز أهدافنا بعيدة المدى ، بل غالباً ما تخلق مشاكل فى البيت ومصائب هنا وهناك . وتتضمن النماذج الانهزامية التهديدات ، والرشوة ، والوعود ، والسخرية ، والمواعظ الفجة عن الكذب والسرقة ، وتعليم الأدب بشكل فظ بذىء .

التهديـدات :

دعوة لسوء السلوك :

التهديدات بالنسبة للأطفال هى دعوة لتكرار فعل ممنوع . عندما نقول للطفل :

ـ افعل هذا مرة أخرى . . وسوف ترى .

إنه لا يسمع «سوف ترى» ، ويسمع فقط :

ـ افعل هذا مرة أخرى .

وأحياناً يفسّرها :

ـ ماما تتوقع أن أفعل هذا مرة أخرى ، وإلاّ فسيخيب ظنها .

قد تبدو مثل هذه التحذيرات ، للكبار ، أمراً معقولاً ، وهى فى واقع الأمر سيئة أكثر منها مفيدة . وليكونوا على يقين من أن الفعل المذموم سيتكرر . فالتحذير ماهو إلاّ تحد لاستقلال الطفل الذاتى . وإذا كان لديه أى احترام ذاتى فلابد أن يخالف التحذير مرة أخرى ؛ ليظهر لنفسه وللآخرين أنه ليس جباناً .

شوقى (خمس سنوات) ، ظل يرمى بالكرة على النافذة رغم كل التحذيرات . فقالت أمه أخيراً :

ـ إذا رميت الكرة على النافذة مرة أخرى ، فسوف أضربك ضرباً مبرحاً ، هذا وعيد .

ولم تمض دقيقة واحدة إلاّ ومشهد تحطيم زجاج النافذة يقول إن تحذيرها كان له تأثيره : فالكرة قد خبطت الزجاج للمرة الأخيرة . ويمكن تصوّر المنظر الذى أعقب التهديدات والوعود وسوء التصرف بسهولة .

وعلى النقيض نرى الحادث التالى يصور التناول المثمر لسوء السلوك بدون اللجوء إلى التهديدات :

وائل (سبع سنوات) يصوب بندقيته على أخيه الرضيع . فقالت له أمه :

ـ ليس على الرضيع . صوّب على لوحة تعلم الرمى . فيصوب وائل على الرضيع ثانية . فتأخذ الأم البندقية وتبعدها ، وتقول لوائل :

ـ ليس الناس هدفاً للتصويب عليهم .

لقد فعلت الأم ما يجب عمله لحماية الرضيع ، وفى نفس الوقت دعّمت معايير السلوك المقبولة . وتعلّم وائل عواقب أفعاله بدون أى إضرار لذاتيته . وكانت البدائل المعروضة واضحة : إما التصويب على لوحة تعلم الرمى أو فقدان ميزة تملك البندقية .

وتجنبت الأم ، فى هذه الحادثة ، المخاطر العادية ، ولم تنزلق إلى مسالك الفشل :

ـ اسكت يا وائل : ألا تعرف مكاناً أفضل بدلاً من التصويب على أخيك ؟ أليس لديك عقل ؟ إذا فعلت ذلك مرة ثانية ، سامع مرة ثانية ، فلن ترى البندقية ثانية !

وإذا لم يكن الطفل خَنوعاً ، فستكون استجابته لمثل هذا التحذير عبارة عن تكرار الممنوع . ولا حاجة إلى وصف المشهد الذى قد يحدث بعد ذلك . . إذ يمكن لأى أم إعادة تنظيمه من جديد .

الرشـاوى :

مغالطة «إذا ... فسوف» :

والانهزامية المشابهة هى الطريقة التى تقول بوضوح للطفل إنه إذا فعل (أو لم يفعل) أمراً مّا ، فسوف يحصل على مكافأة :

ـ إذا كنت ظريفاً مع أخيك الرضيع ، فسوف آخذك للسينما .

ـ إذا توقفت عن تبليل فراشك ، فسوف أشترى لك دراجة فى عيد ميلادك .

ـ إذا حفظت جدول الضرب ، فسوف آخذك لشاطىء البحر .

إن طريقة «إذا ـ فسوف» هذه قد تحض الطفل أحياناً على هدف فورى . لكن من النادر أن تحثه نحو جهود استمرارية . إن فحوى كلماتنا تحمل له أننا نشك فى قدرته للتغيير للأفضل .

«إذا حفظت جدول الضرب» تعنى «أننا لسنا متأكدين أنك تقدر» .

«إذا توقفت عن تبليل فراشك» تعنى «أننا لا نعتقد أنك تستطيع» .

وهناك أيضاً بعض الاعتراضات الأخلاقية على المكافآت التى تستخدم كرشوة . فتروى لنا «دوروثى باروتش» فى كتابها القيم «طرق جديدة للانضباط» عن ولد يقول :

ـ إنى أحصل على ما أريد بالإيحاء لأمى أننى سأكون سيئاً . طبعاً ، لابد أن أكون سيئاً معظم الوقت لأقنعها أنها لاتدفع بدون مقابل .

مثل هذا التفكير قد يؤدى إلى المساومة والابتزاز ، وإلى مزيد من المطالب للجوائز والمنافع الإضافية مقابل السلوك «الحسن» . ولقد تكيف بعض الآباء من قبل أطفالهم ، فلا يتجرأون على العودة إلى البيت يوم الذهاب إلى السوق بدون هدية . ويستقبلهم أطفالهم لا بتحية ترحيب ، أو «حمداً لله على السلامة» ولكن بجملة «ماذا أحضرت لى؟» .

إن المكافآت تصبح مفيدة ، وأكثر استمتاعاً عندما لايعلن عنها مسبقاً ، عندما تأتى كمفاجأة ، وعندما تعبر عن التقدير والإعجاب .

الوعــود توقعات وممارسات غير واقعية :

يجب ألا تُعقد وعود ولا أن تُطلب من الأطفال . لماذا هذا الحظر على الوعود ؟ إن علاقاتنا مع أطفالنا يجب أن تبنى على الثقة . عندما يصبح من الواجب على الأب أن يعد ليؤكد أنه يقصد ما يقوله ، فهو بذلك يعترف أن كلامه «غير الموعود به» غير جدير بالثقة . وتبنى الوعود توقعات غير واقعية . فعندما نعد طفلاً بزيارة لحديقة الحيوان ، فهو يعتبر ذلك تعهداً بأن السماء لن تمطر ، وأن السيارة لن تتعطل ، وأنه لن يمرض ، وحيث إن الحياة لاتخلو من النوائب والحوادث العارضة ، فيشعر الأطفال بأننا غررنا بهم، ويقتنعون بأن آباءهم ليسوا محل ثقة . والشكوى التى لاتفتر : «ولكنك وعدت!» تصبح مألوفة بشكل موجع بالنسبة للآباء الذين يتمنّون بعد فوات الأوان لو أنهم لم يعدوا ، كما يجب ألا نطلب أو ننتزع وعوداً من الأطفال خاصة بحسن التصرف مستقبلاً أو الكف عن سوء سلوك سابق . وعندما يبرم الطفل وعداً ليس نابعاً منه ، فهو يسحب شيكاً على بنك ليس لديه فيه حساب . ويجب ألا نشجع مثل هذه الممارسات الاحتيالية .

السخريــة :

مانع هام للتعلم :

إن الآباء الذين لديهم موهبة السخرية يشكلون خطراً بالغاً على الصحة العقلية . وعظيم البراعة ، فى التعامل مع الألفاظ منهم ، يبنى عائقه الشخصى أمام التفاهم المثمر :

ـ كم مرة يجب أن أكرر نفس الشىء ؟ هل أنت أصم ؟ لماذا لاتسمع الكلام ؟

ـ إنك وقح جداً . هل نشأت فى الأحراش ؟

ـ ماهى حكايتك ؟ هل أنت مجنون أو مجرد غبى ؟ إنى أعرف أين سيكون مصيرك !

قدلا يعى مثل هذا الأب أن تعليقاته عبارة عن هجوم يدعو إلى هجوم مضاد ، وأن تعبيراته تعوق التفاهم ؛ لأنها تحرك الأطفال فى الاستغراق والانشغال بخيالات الانتقام .

ليس هناك مكان فى تربية الطفل للسخرية المريرة والصيغ المبتذلة «الكليشيهات» الجارحة . ومن الأفضل تجنب أقوال مثل :

ـ إن لك رأساً متورماً كالبلّونة !

ـ لقد كبرت على ملابسك هذه !

ـ من تظن نفسك على أية حال !

فيجب علينا ، بأى شكل ألا نحط من وضع الطفل ومنزلته سواء أمام نفسه أو أمام زملائه .

سياسة مواجهة الكذب :

وينزعج الآباء عندما يكذب الأطفال ، خصوصاً عندما تكون الكذبة واضحة والكاذب أخرق . إنه شىء يغيظ أن تسمع الطفل يصر على أنه لم يلمس الدهان أو الشيكولاته ، والدليل ظاهر عياناً بياناً فوق قميصه ووجهه كله .

لماذا يكذب الطفل ؟

أحياناً الأطفال يكذبون لأننا لم نسمح لهم بقول الحقيقة . عندما يقول طفل لأمه إنه يكره أخاه ، فقد تضربه لقوله الحقيقة . وإذا لف ودار وساير الأمور معلناً الكذبة الواضحة بأنه حالياً يحب أخاه ، فقد تكافئه أمه بحضن أو قبلة . ماذا يستنتج الطفل من مثل هذه التجربة ؟ قد يستنتج أن الحقيقة تؤذى ، وأن عدم الأمانة يفيد والأم تكافئه . إذن فهى تحب الكذبات الصغيرة .

إذا أردنا أن نُعلِّم الأمانة ، يجب أن نعدّ أنفسنا على أن نتقبّل الحقائق المرَّة كما نتقبّل الحقائق السارة . وإذا كنّا نربى الطفل على الأمانة ، فيجب ألا نشجعه على الكذب بخصوص أحاسيسه ، سواء كانت إيجابية ، أو سلبية ، أو متأرجحة . إنه من ردود أفعالنا لمشاعر الطفل التى نعبر عنها ، يتعلم الطفل إذا كانت الأمانة أفضل الخصال أم لا .

أكاذيب تنبىء بالحقائق :

عندما نعاقب الأطفال بسبب الحقيقة ،فهم يكذبون دفاعاً عن النفس . وهم يكذبون أيضاً ليعطوا لأنفسهم فى الخيال ما ينقصهم فى الحقيقة . فالأكاذيب تقول حقائق عن المخاوف والآمال . فهى تفشى مايحب الطفل أن يكونه أو أن يفعله . والأذن المميزة ، تفشى أكاذيب ما تقصد أن تخفيه . ورد الفعل الناضج لأى كذبة يجب أن يعكس تفهماً لمعناها ، بدلاً من الحكم على مضمونها بالرفض أو شجب مؤلفها وإدانته . والمعلومات المكتسبة من الكذب يمكن استخدامها فى مساعدة الطفل فى التمييز بين الواقع والتفكير المبنى على الرغبة والأمانى .

عندما يخبرنا طفل صغير أنه جاءه فيل حى كهدية فى عيد ميلاده ، فمن الأفيد أن نقول له :

ـ أنت **تود** ذلك .

بدلاً من أن نتهمه وندينه بالكذب .

ـ أنت **تود** لو كان لديك فيل !

ـ أنت **تود** أن يكون لديك حديقة حيوانات خاصة بك !

ـ أنت **تود** لو كان عندك غابة مليئة بالحيوانات !

ـ وماذا جاء لك فى عيد ميلادك ؟

كذبات نتيجة الاستفزاز :

لا داعى أن يسأل الآباء أسئلة يحتمل أن تتسبب فى كذب دفاعى . فالأطفال

يستاءون من استجواب الآباء لهم ، خصوصاً عندما يشكّون أن الإجابات معروفة من قبل . إنهم يكرهون الأسئلة التى هى فخاخ ، أسئلة تجبرهم أن يختاروا بين كذبة سمجة أو اعتراف مربك .

ثروت (سبع سنوات) ، كسر بندقيته الجديدة التى اشتراها له والده . فأصيب بالخوف ، وأخفى القطع المكسورة فى المطبخ ، وعندما عثر الأب على بقايا البندقية ، أطلق عدة أسئلة أدت إلى انفجار :

الأب : أين بندقيتك الجديدة ؟

ثروت : إنها فى مكان ما .

الأب : إننى لا أراك تلعب بها .

ثروت : أنا لا أعرف أين هى .

الأب : ابحث عنها . أريد أن أراها .

ثروت : ربما سرقها أحد .

الأب : يا كذّاب يا ملعون ! لقد كسرت البندقية ! لاتفكر أنك تستطيع أن تخدعنى . أكره شيء عندى هو الكذب يا كذّاب !

ويقوم الأب بضربه «علقة» سيتذكرها طويلاً .

إن هذه المعركة ليست ضرورية . وبدلاً من المداهنة ولعب دور البوليس السرى ودور النائب العام ، سيكون الأب أكثر نفعاً لو قال لابنه :

ـ أرى أن بندقتيك الجديدة قد كسرت .

ـ إنها لم تدم طويلاً .

ـ خسارة ، لأن ثمنها غالٍ .

فبهذا قد يتعلم الطفل بعض الدروس القيمة :

ـ إن أبى متفهِّم . وأستطيع أن أخبره بمشاكلى . لابد أن أعتنى بهداياه أكثر من ذلك .

التعامـل بالخـداع :

إن سياستنا تجاه الكذب واضحة : فمن ناحية يجب ألاّ نلعب دور المخبر السرى أو نطلب اعترافات أو نقيم قضية من قصة طويلة . ومن ناحية أخرى ، يجب ألا نتردد فى تسمية الأشياء بأسمائها بدون مواربة أو مراراة . فعندما نكتشف أن الكتاب الذى استعاره الطفل من مكتبة المدرسة قد فات موعد إعادته ، فيجب ألا نسأل :

ـ هل أعدت الكتاب إلى المكتبة ؟ هل أنت متأكد ؟ كيف هذا والكتاب لايزال على مكتبك ؟

وبدلاً من ذلك ، نقول :

ـ أرى أن الكتاب الذى استعرته قد فات موعد إعادته .

وعندما تخطرنا المدرسة أن طفلنا قد رسب فى اختبار الحساب ، فيجب ألا نسأله :

ـ هل نجحت فى امتحان الحساب ؟ هل أنت متأكد ؟ إن الكذب لن يساعدك هذه المرة ! لقد تكلمنا مع مدرّسك ، ونعرف أنك رسبت بشناعة .

وبدلاً من ذلك ، نقول لطفلنا مباشرة :

مدرس الحساب قال لنا : إنك رسبت فى الاختبار . وقلقنا عليك ، ونتساءل كيف نستطيع أن نساعدك .

باختصار ، نحن لا نستفز الطفل ونجبره على الكذب الدفاعى ، ولانتيح له الفرص للّجوء إلى الكذب . وعندما يكذب الطفل بالفعل ، فيجب ألا يكون رد فعلنا هستيريا ومتزمتاً ، بل واقعياً وحقيقياً . فنحن نريد من طفلنا أن يتعلم بأنه لا داعى أن يكذب علينا .

السرقـــة :

ليس من النادر بالنسبة للأطفال الصغار أن يحضروا للبيت بأشياء لاتخصّهم . وعندما نكتشف «السرقة» ، فمن المهم تجنّب المواعظ والمواقف المسرحية . ويمكن إرشاد الطفل الصغير إلى بر الأمان بعزّة وكرامة . فنقول له بهدوء وبحزم :

ـ هذه اللعبة تخص شخصاً آخر ، أرجعها إليه .

ـ إن هذا المسدس ليس ملكك ، أعده لصاحبه .

وعندما «يسرق» الطفل الحلوى ويضعها فى جيبه ، فمن الأفضل مواجهته بشكل غير عاطفى :

ـ المصاصة التى فى جيبك الأيسر لابد أن تظل فى السوبر ماركت .

وإذا أنكر الطفل الحلوى ، نشير إليها ونكرر القول :

ـ المصاصة التى فى جيبك ملك السوبر ماركت . ضعها على الرف .

وإذا رفض ، نأخذها من جيبه قائلين :

ـ إنها تخص المحل . لابد أن تبقى هنا .

السؤال الخطأ والقول الصحيح:

عندما تتأكد أن طفلك قد سرق نقوداً من محفظتك ، فمن الأفضل ألا تسأله ، بل تقول له عن ذلك :

ـ لقد أخذت النقود ، أرجعها .

وإذا كان قد أنفق النقود ، فيجب أن نركز المناقشة على طرق التعويض بواسطة أعمال أو واجبات يقوم بها أو الخصم من المصروف .

ومن المهم تجنب تسمية الطفل بلص وكاذب أو التنبؤ بأنه سينتهى به المطاف فى سجن أبى زعبل . وليس من المفيد سؤال الطفل :

ـ لماذا فعلت ذلك ؟

وهو نفسه ، قد لايعرف الدافع ، والضغط عليه لإعطاء السبب لاينتج عنه إلاّ كذبة أخرى .

ومن الأكثر نفعاً أن تشير إلى أنك تتوقع منه أن يناقش معك احتياجه إلى المال :

ـ لقد خاب ظنى أنك لم تخبرنى أنك فى حاجة إلى جنيه !

ـ عندما تحتاج إلى نقود ، تعال وبلّغنى . وسنحلها معاً .

إذا أكل طفلك كعكاً من العلبة المحظورة ، وهناك شارب من السكر مرسوم على وجهه ، فلا تسأليه أسئلة مثل :

ـ هل يوجد أحد أخذ كعكاً من العلبة ؟

ـ هل رأيت أحداً يأخذ منها ؟ هل أكلت واحدة ؟ هل أنت متأكد ؟

مثل هذه الأسئلة عادة ما تدفع الطفل إلى اختراع الكذب . القاعدة هى أننا عندما نعرف الإجابة ، فلا نسأل السؤال . ومن الأفضل القول صراحة :

ـ يابنى ، إنك أكلت الكعك ، ولقد طلبت منك ألاّ تفعل . إنى غاضبة لخيبة ظنى فيك .

إن هذا القول فيه العقاب الكافى والمرغوب فيه . وسيجعل الطفل يشعر بالانزعاج والمسئولية ليفعل شيئاً إزاء سوء تصرفه .

تعليم الأدب : بوقاحة أم بأدب ؟

النماذج الخاصة والسلوك العام :

الأدب عبارة عن سمة شخصية ومهارة اجتماعية فى الوقت نفسه ؛ يكتسب من خلال محاكاة الآباء الذين هم أنفسهم يتحلون بالأدب . ويجب تحت كل الظروف أن يتم تعليم الأدب بالأدب . ومع ذلك ، فكثيراً ما يقوم الآباء بتعلميه بطريقة فظّة .

فعندما ينسى الطفل أن يقول «شكراً» ، يلفت الآباء انتباهه لذلك أمام الآخرين ، وهذا وضع فيه إحراج . كما يسرع الآباء بتذكير طفلهم أن يقول «مع السلامة» لضيوفهم حتى قبل أن يقوموا هم بتوديعهم .

تناول طفل فى السادسة من عمره هدية ملفوفة ، وبدافع الفضول قام بالضغط على الصندوق ؛ ليكشف عما بداخله :

الأم :

ـ محمد ، لاتفعل هذا ! إنك تتلف الهدية ! ماذا تقول عندما يعطيك أحد ما هدية؟

قال محمد بغضب :

ـ شكراً !

الأم :

ـ هكذا يكون الولد الطيب .

كان من الممكن للأم أن تعلم هذا الدرس فى الأدب بطريقة أقل فظاظة وبشكل أكثر تأثيراً . كان يمكنها أن تقول :

ـ شكراً يا خالة نعمات ، على هذه الهدية الجميلة .

ومن المتصور أن محمداً سيتبعها بشكره هو الشخصى . وإذا أخفق فى القيام بذلك، تستطيع الأم التعرض للآداب الاجتماعية فيما بعد عندما تختلى به . ويمكنها أن تقول :

ـ من ظُرف خالتك نعمات أن تفكر فيك وتقدم لك هدية .

دعنا نكتب لها ونشكرها . إنها ستفرح جداً أننا فكرنا فيها وكتبنا لها .

تعد هذه الطريقة أكثر كفاءة من التأنيب المباشر ، رغم أنها أكثر التواءً . إن دقائق فن الحياة لايمكن تعليمها بالمطرقة .

وعندما يقاطع الأطفال حديث الكبار ، عادة ما يكون رد فعل الكبار أن يقولوا فى غضب :

ـ لاتكن صفيقاً ! إنها قلة أدب أن تقاطع أحداً !

ومع ذلك ، فإن مقاطعة المُقاطع قلة أدب أيضاً . ويجب على الآباء ألا يكونوا سيِّئى الأدب فى عملية تعليم الطفل الأدب . ربما من الأفضل قول :

ـ أود أن أنهى رواية قصتى . بعد ذلك تأخذ دورك .

ولايمكن أن نخدم أى هدف بقولنا للطفل إنه صفيق ، بل على عكس ما نأمل ، سينحيه هذا بعيداً عن الأدب . والخطورة تكمن فى أنه سيقبل تقويمنا ، ويجعل ذلك جزءاً من صورته الذاتية ، وإذا اعتقد فى نفسه أنه ولد صفيق ، فسيستمر وهذه الصورة فى مخيّلته . ويصبح من الطبيعى على الولد الصفيق أن يسلك بصفاقة .

إن الزيارات لبيوت الأصدقاء أو الأقارب تتيح لنا فرصاً لإيضاح وبيان الأدب للأطفال . يجب أن تكون الزيارة سعادة للوالدين وللطفل . ويمكن تحقيق ذلك عندما يترك حمل مسئولية سلوك الطفل للطفل والمضيف . (وسوف تقتصر مساعدتنا على التعبير عن تفهّمنا لرغبات الطفل ومشاعره) .

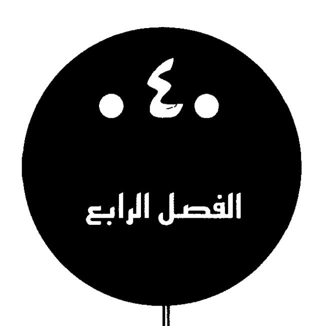
ويعلم الأطفال أننا نعاف تأنيبهم فى بيوت الآخرين وثقتهم فى ذلك ، تجعلهم يختارون هذه الأماكن للتمرد أو السلوك بطريقة شاذة . وأفضل طريقة لإبطال هذه الاستراتيجية هى إلزام المضيف بإقرار قواعد منزله ، ويؤكد عليها ويضعها موضع التنفيذ . فعندما يقفز الطفل على الكنبة التى فى منزل الخالة ليلى ، دعى الخالة ليلى تقرر إذا كانت الكنبة للقفز أم لا ، ودعيها تضع الحدود . وغالباً ما يطيع الطفل عندما تصدر التعليمات من الغرباء . وتستطيع الأم التى تحررت من واجب الانضباط ، أن تساعد الطفل بإعادة ذكر الحدود بينها وبينه ، قائلة :

ـ هذه هى القواعد والنظم هنا ، عند الخالة ليلى .

ويمكن تطبيق هذه السياسة عندما يكون هناك اتفاق مسبق بين المضيفة والضيفة

إزاء مناطق مسئولياتها الخاصة . ومن حق المضيفة ومن مسئوليتها أن تطلب الإذعان لقواعد بيتها . ومن مسئولية الأم الزائرة أن تتخلّى مؤقتاً عن دورها فى الضبط والربط .

وبسياسة عدم التدخل الملائمة ، تساعد الأم الطفل فى إدراك واستيعاب حقيقة الموقف .



المسئولية والاستقلال



المسئولية : الأعمال اليومية والقيم

يتطلع الآباء فى كل مكان إلى طرق تعليم المسئولية للأطفال . وفى كثير من البيوت يستخدمون الأعمال اليومية فى حل هذه المشكلة . فيعتبر التخلص من النفايات والتعامل مع جامع القمامة والبواب وقضاء بعض الحاجيات البسيطة من الخارج - أعمالاً مؤثرة فى جعل الصبيان يتحملون المسئولية ؛ ومن المزعوم والمعترف به أن غسل الأطباق وترتيب البيت - وخصوصاً الأسِرّة - أساس مسئولية البنات . وفى الواقع الفعلى، أن مثل هذه الأعمال اليومية ، بالرغم من أهميتها بالنسبة لترتيب البيت وإدارته - فإنها قد لايكون لها التأثير الإيجابى فى خلق الإحساس بالمسئولية . بل بالعكس ، ففى بعض البيوت قد ينتج عن هذه المهام اليومية معارك يومية تجلب المعاناة والغضب لكل من الأطفال والآباء . إن الإصرار التعسفى على أداء الأعمال اليومية قد ينتج عنه طاعة ، ومطابخ نظيفة ، وحجرات مرتبة ، ولكن قد يكون له أثر غير مرغوب فيه فى تشكيل الشخصية .

إن الحقيقة الجلية هى أن المسئولية لايمكن أن تفرض . إنها يمكن أن تنمو فقط من الداخل ، وتُغَذَّى وتُوجّه بواسطة القيم المستوعبة فى البيت والمجتمع المحيط به . والمسئولية غير المرتبطة بالقيم الإيجابية يمكن أن تكون مضادة للمجتمع وهدّامة . إن السفاحين والمجرمين غالباً ما يُظهرون إخلاصاً عظيماً ومسئولية عالية فى العلاقة التى لكل منهم وللآخر ونحو عصابتهم . إن أعضاء (المافيا) على سبيل المثال ، سيقومون بواجباتهم فى شغف قاتل ، وينفذون الأوامر ، ويقدّمون المساعدة المطلوبة للزملاء المحتاجين ويقومون برعاية أسر المسجونين .

معين المسئولية الذى لاينضب :

بينما نرغب من أطفالنا فى أن يكونوا أشخاصاً مسئولين ، نريد أن تنبع مسئوليتهم من القيم السامية ، التى من بينها تبجيل الحياة والاهتمام بخير البشر وصالحهم . وبتعبير أكثر بساطة يجب أن تبنى المسئولية على احترام الحياة ، والحرية ، والسعى وراء السعادة . إننا عادة لانفكر فى مشكلة المسئولية فى إطارها العريض . إننا نرى المسئولية ، أو نقصانها ، فى أمور أكثر مادية : فى حجرة طفلنا غير المرتبة ، فى التأخر عن المدرسة ، أو فى إهمال الواجبات المنزلية ، أو فى مقاومة أوامر ومطالب الآباء ، أو فى العصيان المتجهّم ، أو فى العادات السيئة .

ومع ذلك ، فقد يكون الطفل مؤدباً ، يعتنى بنظافته ونظافة حجرته ، ويقوم بواجباته على أكمل وجه ، ولايزال يتّخذ قرارات غير مسئولة . هذا صحيح خاصة بالنسبة للأطفال الذين دائماً ما يقول لهم آباؤهم : ماذا يفعلون ، والذين لديهم فرصة ضئيلة لممارسة الحكم والتمييز ، والقيام بالاختيار ، وتنمية المعايير الداخلية .

يعتبر رد الفعل العاطفى الداخلى للطفل لتعليماتنا عنصراً حاسماً فى كمية ما يتعلمه مما نريد منه أن يعرفه . ولايمكن تعليم القيم بطريق مباشر . إنها تُمتص ، وتصبح جزءاً من الطفل ، فقط من خلال تماثله ، واندماجه ، ومحاكاته للأشخاص الذين يكسبون حبه واحترامه .

وهكذا ، ترجع مشكلة المسئولية فى الأطفال إلى الأبوين ، أو بتحديد أكثر إلى قيم الوالدين المنعكسة فى ممارسات تربية طفلهما .

والسؤال المطروح الآن : هل توجد ممارسات واتجاهات محددة يمكن أن تخلق حسًّا مرغوباً فيه للمسئولية فى أطفالنا ؟ إن بقية هذا الفصل هى محاولة للإجابة عن هذا السؤال من الناحية النفسية .

الأهداف المرغوب فيها والممارسات اليومية :

تبدأ المسئولية فى الأطفال مع موقف الآباء ومهاراتهم . وتتضمن المواقف الاستعداد

بالسماح للأطفال بالشعور بكل مشاعرهم ، وتتضمن المهارات المقدِرة على إيضاح الطرق المقبولة فى التعامل مع المشاعر .

والمصاعب الناجمة عن تحقيق هذين المطلبين جسيمة للغاية . فآباؤنا ومدرسونا لم يُعِدُّونا الإعداد الكافى للتعامل مع العواطف . وهم أنفسهم لم يعرفوا كيف يسايرون المشاعر القوية . وعندما كانوا يواجهون بعواصف عنيفة فى الأطفال، كانوا يحاولون إنكارها أو التبرئة منها ، أو كبتها ، أو تلطيفها . وكانوا يستخدمون تعبيرات مهدئة ليست لها فائدة كبيرة :

إنكار : إنك لاتقصد ماتقول فى الواقع ؛ نعرف أنك تحب أخاك الصغير .

تبرئة : لست أنت الذى يتمرد ، إنه الشيطان الذى فى داخلك .

كبت : إذا ذكرت كلمة «أكره» مرة أخرى فستحصل على «علقة» عمرك .

الطفل الظريف لايشعر هكذا .

تلطيف : فى الواقع أنت لاتكره أخاك . ربما تغتاظ منه . ولكن يجب أن ترتفع فوق مثل هذه المشاعر .

مثل هذه الأقوال تتجاهل حقيقة أن العواطف مثل الأنهار ، لايمكن إيقافها ، بل يمكن فقط تحويلها . والمشاعر القوية ، مثل فيضان النيل قبل السد العالى ، لايمكن نكرانها أو تبريرها . ومحاولة تجاهلها دعوة لكارثة . يجب الإعتراف بها وإقرار قوتها وسلطانها . كما يجب التعامل معها باحترام وتحويلها ببراعة . وبعد تحويلها فى المجرى الصحيح قد تثير وجودنا بصورة مفاجئة وتأتى بالنور والسعادة لحياتنا .

إن هذه هى الأهداف الشامخة . والسؤال لايزال باقياً :

ماهى الخطوات التى نستطيع اتخاذها للربط بين الأهداف المرغوب فيها والممارسات اليومية ؟ ومن أين نبدأ ؟

برامج طويلة المدى وقصيرة المدى :

يبدو أن الإجابة هى فى عمل برنامج يتكون من مجموعة طويلة المدى وقصيرة

المدى . ونحتاج على الفور ، إلى اعتراف صريح بأن تربية الشخصية تعتمد على علاقتنا مع أطفالنا ، وأن السمات الشخصية لايمكن أن تنقل عن طريق الكلمات ، ولكن يجب أن توضّح بالدليل .

والخطوة الأولى فى البرنامج طويل المدى هى أن نصبح مهتمين بما يفكر فيه الأطفال ويشعرون به داخلياً ، وليس مجرد إذعانهم أو عصيانهم الخارجى .

وكيف نصبح واعين بما يفكر ويشعر به الأطفال داخلياً ؟

إن الأطفال أنفسهم يعطوننا المفاتيح . فمشاعرهم تأتى من خلال كلمة ونبرة صوت ، من خلال إيماءة ووقفة . كل ما نحتاج إليه هو أُذن تسمع ، وغير ترقب ، وقلب يشعر .

إن شعارنا الداخلى هو : دعنى أفهم . دعنى أُظهر أننى أفهم . دعنى أُظهر وأعبّر عمّا لاينتقد أو يشجب بشكل تلقائى .

عندما يعود الطفل للبيت من المدرسة صامتاً يجرجر نفسه فى ثقل وبطء ، يمكننا أن ندرك من خطواته أن شيئاً بائساً قد حدث له . وطبقاً للشعار الذى نؤمن به ، فلن نبدأ حوارنا بتعليقات انتقادية مثل :

- لماذا هذا الوجه النكد الذى يجلب النحس و «يقطع الخميرة من البيت» ؟
- ماذا فعلت ، فقدتَ أعز أصدقائك ؟
- ماذا فعلت هذه المرة ؟
- أى مشكلة أتيت بها اليوم ؟

طالما أننا مهتمون برد فعل الطفل الداخلى ، فستتجنّب التعليقات التى تخلق الاستياء والكراهية فى داخله ، التعليقات التى تجعله يتمنّى أن يسقط العالم كله ميتاً .

وبدلاً من ذلك ، يمكن للأبوين أن يظهرا الفهم بقولهما أى عبارة مما يلى :

- شىء ما غير سار حدث لك .

ـ لم يكن يوماً طيباً بالنسبة لك .

ـ كان يوماً شاقاً .

ـ شخص ما سبّب لك وقتاً عصيباً .

إن هذه الأقوال أفضل من أسئلة مثل :

ـ ما خطبك ؟

ـ ماذا حدث لك ؟

فالأسئلة تحمل الفضول ، والأقوال تحمل التعاطف .

لا مفر من حقيقة أن الطفل يتعلّم مما يعيشه . وإذا عاش مع النقد ، فلن يتعلم المسئولية . ويتعلم أن يدين نفسه ويبحث عن أخطاء الآخرين . ويتعلم أن يشك فى حكمه ، ويستخف بقدرته ، ويرتاب فى نوايا الآخرين ، وفوق كل شىء يتعلم أن يعيش مع التوقع المستمر لقدر يتوعد .

من الحرب إلى السلام :

إن الآباء الذين فى معمعة الحرب المعلنة أو غير المعلنة مع أطفالهم على الواجبات اليومية والمسئوليات يجب أن يُدركوا حقيقة أن هذه الحرب لن يكسبوها . فالأطفال عندهم وقت وطاقة أكثر لمقاومتنا مما لدينا نحن لكى نُجبرهم حتى لو أننا كسبنا معركة ونجحنا فى فرض إرادتنا ، فقد يقابلون ذلك بأن يصبحوا خائرى النفوس مغمومين ومصابى الأعصاب ، أو متمردين جانحين .

هناك طريقة واحدة فقط نستطيع بها أن نكسب : بكسبنا الأطفال أنفسهم . وقد تبدو هذه المهمة مستحيلة ، ولكنها ليست أكثر من أنها صعبة ، ونحن لدينا القدرة على تحقيقها . وحتى لو أننا حالياً لسنا على علاقة وفاق وصداقة مع الطفل ، فيمكن أن تبنى مثل هذه العلاقة فى وقت قريب .

ويمكن للآباء أن يبدأوا بتغييرات محببة فى أطفالهم بواسطة :

١ ـ الاستماع بحساسية . إن الأطفال يعانون من الإحباط والامتعاض عندما يبدو على الآباء أنهم غير مهتمين بمشاعرهم وأفكارهم . ونتيجة لذلك يدركون أن أفكارهم غبية ولاتستحق الانتباه ، وأنهم هم أنفسهم غير جديرين بأن يُحَبُّوا أو يُحِبُّوا .

والأب الذى يستمع بانتباه ينقل لطفله أن أفكاره قيّمة ، وأنه محترم . ومثل هذا الاحترام يعطى الطفل الإحساس بالجدارة والاستحقاق . والإحساس بالاستحقاق يساعد الطفل على التعامل مع عالم الأحداث والناس بشكل مؤثر .

٢ ـ الامتناع عن «عناقيد الغضب» . يجب على الآباء التجنب الواعى للكلمات والتعليقات التى تخلق الكراهية والامتعاض .

الإهانات : إنك عار على مدرستك وسمعة سيئة لعائلتك . .

الشتائم : متشرد ، زفت ، عبيط ، سمج . .

التنبـؤ : نهايتك إصلاحية الأحداث ، قابلنى إذا نجحت . .

التهديد : إذا لم تسمع الكلام ، فلابد أن تنسى موضوع مصروفك .

الاتهامات : إنك دائماً الذى تبدأ المشاكل .

إصدار الأوامر : اخرس ، أغلق فمك ، ولا كلمة ، ولانفس ، دعنى أقول لك شيئاً أو اثنين .

٣ ـ ذكر المشاعر والأفكار بدون هجوم . فى المواقف العصيبة يصبح الآباء أكثر فعالية عندما يذكرون مشاعرهم وأفكارهم بدون هجوم على شخصية طفلهم وكرامته .

وعندما ينصت الآباء بحساسية ، ويتوقفون عن التعليقات الجارحة ويصرّحون بمشاعرهم ومطالبهم بدون إهانة ، تبدأ عملية التغيير فى الطفل . والجو الودى المؤيد يشد الطفل أقرب لوالديه ، ومواقفهما المنصفة العادلة ، ومراعاتهما للمشاعر والظروف ، وأدبهما وكياستهما يلاحظها الطفل ويحاكيها . إن هذه التغييرات لن تحدث فى يوم وليلة ، ولكن الجهود حتماً ستكافأ فى النهاية .

وباتخاذ هذه المواقف والممارسات ، سينجز الأبوان جزءاً كبيراً من تربية الطفل وإعداده للمسئولية . ومع ذلك ، فالقدوة فقط ليست كافية . فالحس بالمسئولية يحصل عليه كل طفل من خلال جهوده وتجاربه هو . فى حين أن قدوة الأبوين تخلق موقفاً ومناخاً محببين للتعلم ، وخبرات معينة تدعم التعلم وتجعله جزءاً من شخصية الطفل ؛ لذلك من المهم تحديد المسئوليات المعينة لإعطائها للأطفال فى مراحل النضج المختلفة .

المسئولية : التعبير والاختيار :

إن الأطفال ليسوا مولودين بحس مبنى داخلهم للمسئولية . ولا هُم يكتسبونها بشكل تلقائى فى سن معينة . إن المسئولية ، مثل العزف على البيانو ، تتحقق ببطء ، وعلى مدى سنين طويلة . إنها تتطلب تدريباً يومياً على ممارسة الحكم وصنع الاختيارات إزاء الموضوعات المناسبة لعمر الفرد وإدراكه .

مناطق النزاع وممالك المسئولية :

التربية من أجل المسئولية يمكن أن تبدأ مبكراً جداً فى حياة الطفل . ويمكن أن تشجع المسئولية بالسماح للأطفال بالتعبير عن أنفسهم ، وبالاختيار ،حيثما يتبين ذلك، فى المواضيع التى تؤثر فيهم . وهنا يقام تمييز مترو بين التعبير والاختيار . هناك مواضيع تقع كلية ضمن مملكة الطفل فى المسئولية . فى مثل هذه الأمور يجب أن يكون له الاختيار . وهناك أمور تؤثر على صالح الطفل وهى ضمن مملكة مسئوليتنا تماماً . فى مثل هذه الأمور قد يكون له صوت أو حق التعبير ، ولكن ليس له حق الاختيار .

إننا نقوم بعملية الاختيار من أجله . . وعلينا أن نساعده على تقبل الأمر المحتوم .

والمطلوب الآن هو التمييز الواضح بين هاتين المملكتين من المسئولية . دعونا نرى بعض المجالات التى يشيع فيها النزاع بين الآباء والأبناء .

المأكـــل :

حتى الطفل الذى عمره سنتان يمكننا أن نسأله إذا كان يريد نصف كوب من

الحليب أو كوباً كاملاً . وطفل الأربع سنوات يمكن إعطاؤه الاختيار بين نصف برتقالة أو برتقالة كاملة . وطفل الست سنوات يمكنه أن يحدد بنفسه إذا كان يريد البيض مسلوقاً أو مقلياً .

يجب عرض الأمور على الأطفال فى كثير من المواقف ، حيث عليهم أن يقوموا بالاختيار . الآباء ينتخبون المواقف ، والأطفال يقومون بالاختيارات .

ولا يُسأل الطفل الصغير :

ـ ماذا تريد للإفطار ؟

بل يُسأل :

ـ هل تريد البيض مقلياً أم مسلوقاً ؟ هل تريد الخبز محمصاً أم لا ؟ هل تريد عصير برتقال أم حليباً ؟ هل تريد الحليب ساخناً أم بارداً ؟

إن ما ننقله للطفل هو أن له بعض المسئولية من أجل شئونه الخاصة . إنه ليس مجرد مستقبل للأوامر ، بل مشارك فى القرارات التى تشكل حياته . ومن مواقف الوالدين يجب أن يحصل الطفل على رسالة واضحة : إننا نوفّر الشاى مع الحنان ، كما نوفر الحليب والكعك . . والاختيار هو مسئوليتك أنت .

ومشاكل المأكل بالنسبة للأطفال غالباً ما تخلقها الأمّهات اللاتى يأخذن على عاتقهن اهتماماً شخصياً عظيماً جداً فى براعم الذوق لأطفالهن . إنهن يضايقن أطفالهن بإجبارهم على أكل خضراوات معينة ، ويُجبرنهم (بشكل غير علمى إطلاقاً) على أكل خضار أكثر صحة وفائدة لكل عضو أو جهاز فى الجسم . ومن الأفضل بالنسبة للأطفال ألاّ يكون للأم مشاعر قوية نحو المأكل ؛ إنها تقدم المأكل الذى له النوعية الجيدة والطعم اللذيذ وتثق فى أن أطفالها يأكلون كثيراً أو قليلاً حسب ما تطلبه شهيتهم، بالطبع على ألاّ يتعارض هذا مع أى مشورة طبية . ومن الواضح ، أن المأكل يقع ضمن مملكة الطفل فى المسئولية .

الملبس :

وعند شراء الملبس للأطفال ، فمن مسئوليتنا أن نقرر كل ما يحتاجون إليه ، ونُحدّد ميزانيته . وفى المحل ، ننتخب عدة نماذج . . تكون جميعها مقبولة لنا من ناحية السعر والشكل . والطفل سيختار منها ما يفضّل أن يلبسه . وهكذا حتى طفل الست سنوات يمكنه أن يكون له الاختيار فى شراء جواربه وقميصه . . من بين ما قد انتخبناه من قبل .

وهناك كثير من البيوت ، ليس للأطفال فيها أى تجربة ، ولاينمّون أى مهارة فى شراء الملبس لأنفسهم . وفى الحقيقة ، هناك كبار لايستطيعون شراء حلة لأنفسهم بدون اصطحاب زوجة أو أم للقيام بعملية الاختيار .

ويجب أن يسمح للأطفال الكبار ، بصفة خاصة ، أن يلبسوا ماهو ليس مختلفاً جداً عن المستويات المقبولة لأصدقائهم .

إن طفلاً فى قدميه حذاء بنى فى مدرسة، نمط الحذاء فيها لهذا العام هو الحذاء الأسود ـ سيكون عرضة (ربما بشكل غير ضرورى) للهجوم والسخرية . يجب على الآباء أن يعوا ماهو معتبر «لائق» و«غير لائق» بين الأطفال . إن ممالك المسئولية بالنسبة للملبس يمكن ذكرها كالآتى : نحن نقوم بالانتخاب ، وهم بالاختيار .

الواجب المنزلى :

من السنة الدراسية الأولى فما فوق ، يجب أن يعلن موقف الآباء بأن الواجب المنزلى هو مسئولية الطفل ومدرسته بشكل قاطع . ويجب على الآباء ألا يزعجوا الأطفال بخصوص الواجب المنزلى . يجب ألاّ يشرفوا عليه أو يصحّحوه ، وأنا واع تماماً بأن هذه السياسة قد تكون عكس ما تطلبه المدرّسة ، إلاّ إذا دعاهم الأطفال أنفسهم للإشراف أو للتصحيح عندما يأخذ الأب أو الأم على عاتقه المسئولية عن الواجب المنزلى ، ويدعه الطفل ، فلن يستطيع الأب أو الأم التحرر من هذا القيد . وقد يصبح الواجب المنزلى سلاحاً فى يدى الطفل ليعاقب ، ويبتز ،ويستغل الوالدين . يمكن تجنب كثير من

البؤس ، وإضافة كثير من السرور لحياة البيت ، إذا أظهر الآباء اهتماماً أقل فى التفاصيل الدقيقة لواجبات الطفل ، وبدلاً من ذلك يصرّحون بشكل يقينى :

- الواجب المنزلى هو من مسئوليتك . الواجب المنزلى بالنسبة لك بمثابة العمل بالنسبة لنا .

ويجب ، فى السنوات الدراسية الأولى ألا نبالغ ونغالى فى تقدير قيمة الواجب المنزلى . وهناك كثير من المدارس الممتازة لاتعطى واجباً منزلياً للأطفال الصغار . ويبدو على التلاميذ أنهم يحصلون على نفس القدر من الحكمة مثل هؤلاء الذين يعانون من الواجبات المنزلية المفروضة فى سن السادسة والسابعة. إن القيمة الأساسية للواجب المنزلى هى أنه يعطى الأطفال تجربة العمل بأنفسهم . ولإحراز هذه القيمة ، مع ذلك ، يجب أن يكون الواجب المنزلى فى مستوى الطفل وقدرته ؛ ولذلك لكى يعمل بشكل مستقل مع مساعدة ضئيلة من الآخرين . أما المساعدة المباشرة فقد تنقل للطفل أنه عاجز لو اعتمد على نفسه فقط .

ومع ذلك ، فالمساعدة غير المباشرة ، قد تكون مفيدة . فمثلاً ، يجب أن نتأكد أن للطفل خصوصياته : مكتب صغير مناسب ، كتب يرجع لها . ويمكننا أن نساعده أيضاً فى تحديد الوقت المناسب للواجب المنزلى ، طبقاً لظروف الطقس وماشابه : ففى أيام الجو المعتدل فى الربيع والخريف سيتجه خيال الطفل أولاً للعب ، ثم (نأمل ذلك) للواجب المنزلى . وفى أيام الشتاء الباردة يجب أن يأتى الواجب المنزلى أولاً ، إذا كان هناك وقت للتليفزيون فيما بعد .

ويُحبّ بعض الأطفال أن يكونوا بالقرب من أحد الكبار أثناء أداء واجباتهم المنزلية . وربما كان من الممكن السماح لهم باستخدام المنضدة التى فى المطبخ أو حجرة الطعام . ومع ذلك ، يجب تقديم بعض التعليقات ، فى هذا الوقت ، عن طريقة الجلوس ونظافة المظهر والترتيب ، أو الاعتناء بالأثاث .

وبعض الأطفال يعملون بشكل أفضل عندما يعضّون على أقلامهم ، أو يحكون

رءوسهم ، أو يؤرجحون الكرسى . وتزيد تعليقاتنا وتعليماتنا من الإحباط ، وتتعارض مع عملهم الذهنى .

يجب ألا تعترض الأسئلة واجب الطفل المنزلى ولا الطلبات التى يمكن تأجيلها لوقت آخر . ويجب أن نظل فى الخلفية نعطى الراحة والمساندة لا التعليمات والمساعدة. وقد نقوم ، من حين لآخر ، بتوضيح نقطة أو شرح جملة . ومع ذلك ، يجب أن نتجنّب تعليقات مثل :

- لو لم تكن مشتت الفكر هكذا ، لكنت تذكّرت واجباتك .

- لو كنت انتبهت فقط لمدرِّسك لكنت عرفت واجبك المنزلى .

يجب أن نعطى مساعدتنا بشكل مقتصد ، ولكن بحنان . ننصت أكثر مما نحاضر. نبين الطريق ولكن نتوقّع أن يصل المسافر إلى وجهته بقدرته الشخصية .

إن موقف الآباء تجاه المدرسة والمدرسين قد يؤثر على موقف الطفل تجاه الواجب المنزلى . فإذا كان الأب من عادته أن يمسح بالمدرسة البلاط ويقلل من شأن المدرسين ، فسيخرج الطفل باستنتاجات واضحة .

يجب أن يدعم الآباء موقف المدرس ويساندوا سياسته إزاء الواجب المنزلى .

وعندما يكون المدرس صارماً ، سيكون للأبوين فرصة مدهشة ليكونوا متعاطفين :

- إنها ليست سنة سهلة . . شغلها كثير !

- إنها سنة قاسية صحيح .

- إنه مدرس صارم بالتأكيد .

- أسمع أنه يطلب الكثير .

- أسمع أنه متشدّد خصوصاً بالنسبة للواجب المنزلى . أظن سيكون هناك الكثير من الجهد هذا العام .

ومن المهم تجنب احتدامات الغضب اليومى على الواجب المنزلى :

ـ اسمع ، يا ناجى ، من الآن فصاعداً ستحفظ الكلمات الإنجليزية كل يوم . . حتى يومى الخميس والجمعة . وليس هناك مزيد من اللعب بالنسبة لك ، ولا حتى تليفزيون .

ـ سمير ! لقد مللت وتعبت من تذكيرك بالواجب المنزلى .

بابا سيتابعه معك . نحن لانريد أميين فى العائلة .

إن التهديدات و (العكننة) أمور شائعة ؛ لأنها تجعل المرء يعتقد بأنه فعل شيئاً إزاء الموقف . وفى الواقع أن مثل هذه التحذيرات وهذا اللوم والعقاب أسوأ من كل شىء بل هى عديمة الجدوى . ولاينتج عنها إلاّ جو مشحون وأبوان ثائران وطفل غاضب .

وكثير من الأطفال القادرين يتلكأون فى واجبهم المنزلى وإنجازهم فى المدرسة أقل من المطلوب كنوع من التمرد اللاواعى ضد طموحات آبائهم . ولكى ينمو الطفل وينضج، يحتاج إلى أن يتمتع بحس من الشخصية الفردية والاستقلالية عن أمه وأبيه . وعندما يتدخل الآباء بعاطفية شديدة فى سجل الطفل المدرسى ، يحس بالتدخل فى استقلاله الذاتى . وإذا كان الواجب المنزلى والدرجات العالية للطفل تصبح ماسات فى تاج أبويه ، فقد يفضل الطفل بلا وعى منه أن يأتى إلى البيت بتاج من الأعشاب على أن يكون تاجه هو على الأقل .

وبعدم تحقيقه لأهداف أبويه ، يحقق الثائر الصغير إحساساً بالاستقلال . وهكذا ، قد تدفع الحاجة إلى الشخصية الفردية والتفرد الطفل إلى الفشل ، على الرغم من الضغوط والعقوبات الأبوية . وكما قال أحد الأطفال :

ـ يمكنهما إلغاء التليفزيون وإلغاء المصروف ، ولكنهما لن يتمكنا من إلغاء درجاتى الضعيفة .

من الواضح أن مقاومة المذاكرة ليست بالمشكلة السهلة التى يمكن حلّها إما بالقسوة والشدة أو باللين والتساهل مع الأطفال . إن الضغط الزائد قد يزيد مقاومة

الطفل وعناده ، فى حين أن سياسة عدم التدخل قد توحى بالنضج وتحمّل المسئولية . والحل ليس سهلاً ولا سريعاً . فبعض الأطفال قد يحتاجون إلى علاج نفسى لحل مقاومتهم لوالديهم ولإحراز النجاح بدلاً من الرسوب .

والبعض الآخر قد يحتاج إلى مدرّس خاص على أن يكون له خلفية بنفسية الأطفال وتربيتهم . ولكن من اللازم ألاّ يقوم الأبوان بعمل المدرس الخاص . إن هدفنا هو إحساس الطفل بأنه شخص متفرد فى حقوقه . . بعيداً عنّا . . ومسئول عن نجاحه وفشله . . وعندما يسمح للطفل أن يخوض تجربة التفرّد بنفسه مع حاجاته وأهدافه المتولّدة ذاتياً ، يبدأ بأخذ المسئولية على عاتقه من أجل حياته ومطالبها .

المصروف :

يتمتع الطفل كفرد من أفراد الأسرة بغطاء الإنفاق العام للأسرة من مأكل وملبس وخلافه ، هذا بالإضافة إلى المصروف اليومى ، الذى يتحول كلما يكبر إلى أسبوعى وربما شهرى . والمصروف ليس مكافأة لحسن السلوك ولا مقابل الأعمال التى قد يقوم بها الطفل . إنه وسيلة تربوية لها غرض متميز : توفير الخبرة فى استخدام النقود فى ممارسة الاختيارات واتخاذ المسئوليات . ولذلك ، الإشراف الزائد على المصروف قد يبطل الغرض منه . كل ما هو مطلوب هو السياسة العامة التى تقرر الجهات التى يتم إنفاق المصروف فيها : الحلوى وبعض المأكولات الخفيفة ، أجرة المواصلات ، ما توفره المدرسة من أمور استهلاكية ، الخ . وكلما كبر الطفل يكبر معه المصروف ؛ ليكفى النفقات والمسئوليات الإضافية : مصاريف عضوية ، اشتراكات ، مطالب إضافية فى الملبس وفى الترويح ، الخ .

وإساءة استخدام المصروف شىء يمكن توقّعه . فبعض الأطفال يسيئون تدبير الميزانية ويبذرون . ففى هذه الحال يجب مناقشة ذلك مع الطفل بأسلوب عملى واقعى للوصول إلى حلول يتفق عليها الطرفان . وقد يكون من المستحسن فى الحالات المتكررة لإنفاق المصروف السريع أن يعطى للطفل مرتين أو ثلاث مرات فى الأسبوع .

ويجب عدم استخدام المصروف كهراوة فوق رأس الطفل لتمثل ضغطاً من أجل الإنجاز أو الطاعة . كما يجب ألا يوقف فى أوقات الغضب أو يزداد وفق المزاج أو الهوى فى أوقات الصفاء .

وماهو المصروف المعقول ؟ بالطبع لا توجد إجابة عامة عن هذا السؤال . فالمصروف يجب أن يتلاءم مع ميزانيتنا . وبغض النظر عن مستويات الجيرة ، فيجب ألا نجارى أحداً على حساب إمكاناتنا ، وعلى قدر فراشك مدّ رجليك . وإذا احتج الطفل ، فيمكننا إخباره بصدق وحنان :

- نتمنى أن نعطيك مصروفاً أكبر ، ولكن ميزانيتنا محدودة .

وهذه الطريقة أفضل من محاولة إقناع الطفل بأنّه لايحتاج فى الواقع إلى أكثر مما يأخذ .

والمال مثل السلطة ، يمكن إساءة استخدامه بسهولة ، خصوصاً من قِبَلِ الْغِرِّ قليل الخبرة . ويجب ألا يكون المصروف أكبر من قدرة الطفل على التصرف فيه . ويستحسن البدء بمصروف صغير ، يُعَدَّل من وقت لآخر ، عن إغراق الطفل بمال وفير .

ومن الأفضل بدء المصروف مع بدء ذهاب الطفل إلى المدرسة ، ويكون قد تعلم عدَّ النقود ووحداتها الصغيرة . ويوجد شرط ضرورى بالنسبة للمصروف : أن ما يبقى منه بعد الإنفاق هو من حق الطفل ؛ ليوفره أو ليتفاخر به فى إنفاقه .

الأصدقاء وزملاء اللعب :

نظرياً ، نحن نريد من أطفالنا أن يختاروا أصدقاءهم . إننا نؤمن بالحرية ، ونعارض الجبر والإكراه ، ونعلم أن التصادق الحر من الحقوق الأساسية للإنسان . ومع ذلك فليس من المستبعد أن يأتى الطفل البيت ومعه «أصدقاء» نجدهم نحن منفِّرين . فقد لا نحب المتنمرين أو المتبجحين ، أو قد نجد صعوبة فى تقبّل الصيّاحين البكّائين سائلى الأنوف . ولكن إذا لم يكن سلوكهم يضايقنا فعلاً ، فمن الأفضل أن ندرس طفلنا وتفضيلاته وانجذاباته قبل التدخل فى اختياراته .

أى مقياس يمكننا استخدامه لتقييم اختيار طفلنا لأصدقائه ؟

يجب أن يمارس الأصدقاء تأثيراً إصلاحياً نافعاً يعود بالخير على بعضهم البعض . والطفل يحتاج إلى فرص لمصادقة شخصيات مختلفة عنه ومكمّلة له ، وهكذا ، فالطفل المنطوى على نفسه يحتاج إلى مصاحبة أصدقاء أكثر انفتاحاً ، والمفرط فى العناية به يحتاج إلى زميل لعب استقلالى ، والطفل الميال للخوف يجب أن يكون فى صحبة صغار أكثر شجاعة ، والطفل فى مراحل نشأته الأولى يمكن أن يستفيد من رفيق لعب أكبر وأكثر نضجاً . والطفل الذى يركن كثيراً إلى الخيال يحتاج إلى تأثير أطفال أكثر واقعية .

والطفل العدوانى يمكن أن يرتدع مع رفيق لعب يكون قوياً ، ولكن ليس محباً للقتال . إن هدفنا هو تشجيع العلاقات الإصلاحية بتعريض الطفل لأصدقاء لهم شخصيات مختلفة عن شخصيته .

وتحتاج بعض الصداقات إلى عدم التشجيع . والأطفال فى نشأتهم الأولى يتغذّون فقط على نضج بعضهم البعض . والأطفال المحبون للقتال يعززون فقط عدوانية بعضهم البعض . والأطفال المنعزلون المنطوون على أنفسهم لاينشغلون بما فيه الكفاية بالمجتمع ومافيه من أخذ وعطاء . والأطفال المهملون الجانحون قد يعززون ميول بعضهم البعض المعادية للمجتمع .

ويجب اتخاذ عناية خاصة لمنع الأطفال الذين يزينون السلوك الإجرامى من أن يصبحوا أصدقاء مهيمنين ؛ لأنهم قد يحرزون هالة بطولية فى المدرسة أو فى الحى ، ويصبحون نماذج غير مرغوب فيها للمطابقة والتقليد .

إن الأمر يحتاج إلى نظام كيّس من المراجعة والموازنة للسماح للطفل بمسئولية اختيار أصدقائه ، فيما نحتفظ نحن بمسئولية التأكد من أن الاختيار هو اختيار نافع مفيد .

العناية بالحيوانات الأليفة .

عندما يعد طفل بالاعتناء بحيوان أليف ، فهو يظهر فقط النوايا الطيبة ، وليس الدليل على القدرة . والطفل قد يحتاج إلى حيوان أليف ، ويريده ويحبه ، ولكن من

النادر أن يكون قادراً على الاعتناء به على الوجه السليم . ومسئولية حياة هذا الحيوان لايمكن أن تكون مسئولية الطفل وحده . ولتجنب الإحباط والاتهامات الضارة ، فمن الأفضل افتراض أن الحيوان الأليف بالنسبة للطفل معناه عمل للأبوين . وقد يستفيد الطفل بشكل عظيم من حصوله على حيوان أليف يلعب معه ويحبه . وبالطبع سيستفيد أيضاً من المشاركة فى العناية به . .

ولكن مسئولية حياة الحيوان الأليف ورعايته يجب أن تظل على عاتق الكبار .

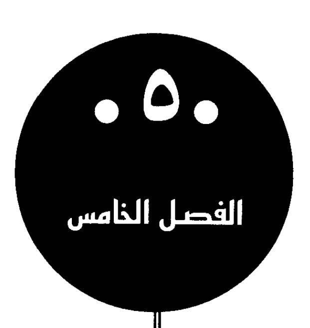
عبارات فضفاضة :

الأبوان الناجحان مثل المدرس الناجح الذى يجعل من نفسه بالنسبة للأطفال شخصاً يمكن الاستغناء عنه بشكل متزايد . إنهما يشعران بالارتياح فى العلاقات التى تقود الأطفال إلى عمل اختياراتهم الخاصة بهم وفى استخدام قواهم الشخصية .

وفى محادثاتنا مع الأطفال ، يمكننا أن نحرص على استخدام عبارات توحى بإيماننا بقدرتهم على اتخاذ قرارات حكيمة لأنفسهم . وهكذا ، عندما تكون استجابتنا الداخلية لطلب الطفل هى «نعم» ، يمكننا أن نعبّر عن ذلك فى صياغة تشجّع الطفل على الاستقلال . وإليك بعض الطرق لقول «نعم» ، بعبارات فضفاضة :

- إذا أردت ذلك .
- إذا كان هذا هو فعلاً ما تحب .
- إنه قرارك .
- هذا يرجع إليك بالفعل .
- إنه اختيارك أنت نفسك .
- مهما كان قرارك فأنا موافق .

قد تكون كلمة «نعم» منا مشبعة للطفل ، ولكن الصِّيغ الأخيرة تعطيه ارتياحاً إضافياً لعمل قراراته بنفسه ، والاستمتاع بإيماننا فيه .



الانضباط .. التساهل والحدود



الشك الحديث ونتائجه :

ماهو الفرق بين طريقة أجدادنا وطريقتنا فى تأديب الأطفال ؟

كل ما كان يفعله أجدادنا كانوا يفعلونه بثقة وقوة ، وكل ما نفعله نحن نفعله بحيرة وتردد . حتى فى الخطأ ، كان أجدادنا يفعلونه بيقين ، فى حين أننا ، حتى عندما نكون على حق ، نفعله فى شك . من أين جاء شكّنا بالنسبة إلى الأطفال ؟ كلّنا قد سمعنا عن «فرويد» ، وعن التحليل النفسى ، والنتائج الباهظة للطفولة البائسة ، وكلنا نهتم بشكل كبير خشية أن ندمر أطفالنا ، أو نتسبب فى ذلك مدى الحياة . إن الرسالة التالية من إحدى الأمهات توضح ذلك :

«غالباً ما أجد صعوبة فى التعبير عن نفسى شفاهة فى الأمور التى تؤثر فىّ بعمق . لعلى أستطيع أن أكون أفضل فى الكتابة . وإذا تركت أى شىء دون قوله ، فأنا أعرف أنك ستقدر على قراءته من بين السطور . لقد كنت كريماً لإتيانك نادينا للمشاركة فى ندوة الآباء . إننى لم أستفد منها تماماً ؛ لأننى لم أتعلّم ما فيه الكفاية بخصوص تنشئة الأطفال ، والشىء الذى أعجبت به هو قولك : إنك تعلم أنه لايوجد أبوان يفعلان أشياء عن عمد لإيذاء أطفالهما عاطفياً . إنهما يفعلان ذلك بشكل غير مقصود .

لا أحد منّا يقدم عن قصد للقيام بأى شىء يشل أطفالنا نفسياً ، أو أخلاقياً ، أو عاطفياً ، ومع ذلك نفعل هذا تماماً . إننى أصرخ غالباً داخلياً لأشياء قد فعلتها وقلتها بدون تفكير ، وأدعو الله ألاّ أكرر هذه الانتهاكات . لعلها لا تتكرر ، ولكن أمراً آخر فى نفس السوء قد حل محلها ، حتى إننى أجن خوفاً من أننى أكون قد آذيت طفلى مدى الحياة » .

لايستطيع أحد أن يشك فى صدق وإخلاص هذه الأم .

إلاّ أنها ستكون مفيدة أكثر لو كانت أقل شعوراً بالذنب وأكثر مهارة . إننا قد لا نحس بالأمان مع طبيب يصرخ عند رؤية ذراع مكسورة أو يغمى عليه عند رؤية الدم . إننا نتوقع من الطبيب الكفاءة المهنية مع بعض الحنان ، لا انفعالية ونواحاً وبطريقة مماثلة يمكن للأبوين أن يتعلّما التعامل مع عدم نضج أطفالهما بطريقة شبه مِهنيّة . وعندما يتم تناولها بدون عاطفة زائدة ، فكثير من الأزمات الانضباطية يتلاشى . أمّا عندما يتم تناولها بطريقة هستيرية فقد تصبح مشاكل خطيرة تنزل بالأبوين والطفل البلاء لسنين طويلة .

حاجات الآباء واستبداد الطفل :

يجب على الأب أن يحب أطفاله ، لكنه ليست لديه حاجة ملحّة إلى أن يحبوه كل دقيقة وكل لحظة . إن هؤلاء الذين يحتاجون إلى الأطفال كى يستمدّوا منهم تبريراً لزواجهم أو معنى لحياتهم لهم فى خسران . وخوفاً من فقدان حب طفلهم فهم لايجرؤون على أن يرفضوا له أى شىء حتى التحكّم فى البيت . وبإحساسهم لجوع الآباء للحب يستغل الأطفال ذلك بلا رحمة . ويصبحون مستبدّين طغاة يتحكمون فى خدّام قلقين .

وكثير من الأطفال قد تعلّموا كيف يهددون أمهاتهم بسحب حبهم . ويستخدمون الابتزاز بشكل فظ . ويقولون :

ـ لن أحبك إذا أنت . .

إن المأساة ليست فى تهديد الطفل ، ولكن فى حقيقة أن الآباء يشعرون بالتهديد . وبعض الآباء يتأثرون فعلاً بكلمات الطفل : فيصرخون ويتوسلون إلى الطفل أن يظل محباً لهم ، ويحاولون أن يسترضوه بأن يكونوا أكثر تساهلاً .

التساهل والتساهل الزائد :

ماهو التساهل ؟ وماهو الإفراط فيه ؟ التساهل هو وضع لقبول صبيانية الأطفال .

ومعنى ذلك قبول أن «الأولاد سيكونون أولاداً» . وأن القميص النظيف الذى يرتديه الطفل العادى لن يظل نظيفاً مدة طويلة ، وأن الركض ـ وليس المشى ـ هو وسيلة تحرك الطفل وتنقله ، وأن الشجرة للتسلق ، والمرآة لتعبيرات الوجه من سخرية واشمئزاز وغيرهما .

إن جوهر التساهل هو قبول الأطفال كأشخاص لهم حق شرعى فى أن يكون لهم جميع أنواع المشاعر والرّغبات .

حرية التمنى مطلقة وغير مقيّدة ؛ جميع الأحاسيس والخيالات ، وجميع الأفكار والرغبات ، وجميع الأحلام والأمنيات ، بغض النظر عن مضمونها ـ مقبولة ومحترمة ، ومسموح التعبير عنها بالطرق الملائمة ، أما السلوك الهدّام فلا يسمح به أصلاً ، وعندما يحدث ذلك ، يتدخل الآباء ويوجهونه وجهة جديدة نحو متنفّسات شفهية ومسارات رمزية أخرى ، مثل تسجيل الانفعالات السيئة على أشرطة تسجيل أو نظم القصائد اللاذعة أو كتابة القصص البوليسية وقصص الجرائم أو الرسم والرياضة وبعض الألعاب والأعمال المجهدة ، الخ . والتساهل باختصار هو قبول السلوك التخيلى والرمزى .

أما التساهل الزائد فهو السماح بالأفعال غير المرغوب فيها ، والتساهل يجلب الثقة والقدرة المتزايدة فى التعبير عن المشاعر والأفكار ، أما التساهل المفرط فيجلب القلق والمطالب المتزايدة للامتيازات التى لايمكن أن تمنح .

الطريقة الحديثة : معالجة مختلفة للمشاعر وللأفعال :

إن حجر الزاوية للطريقة الحديثة للتأديب هو التمييز بين الرغبات والأفعال .

إن معظم مشاكل التأديب تشتمل على جزءين : مشاعر غاضبة وأفعال غاضبة . وكل جزء لابد من تناوله بشكل مختلف . فالمشاعر لابد من إثباتها والتعبير عنها ، أما الأفعال فتُحصر ويعاد توجيهها .

وفى بعض الأحيان يكفى إثبات مشاعر الطفل لتصفية الجو :

الأم : يظهر أنك غاضب اليوم .

الإبن : بالتأكيد .

الأم : تشعر بنوع من الخسَّة داخلياً .

الإبن : لقد قلتيها !

الأم : إنك حانق على أحد .

الابن : نعم . أنتِ .

الأم : قل لى : لماذا ؟

الإبن : إنك لم تأخذينى إلى الملاهى ، ولكنك أخذت سامحاً .

الأم : وهذا جعلك غاضباً . من المؤكد أنك قلت لنفسِكَ : «إنها تحبّه أكثر مما تحبنى» .

الإبن : نعم .

الأم : وأحياناً تشعر بذلك فعلاً .

الإبن : بالطبع .

الأم : يا حبيبى ، عندما تشعر بذلك ، تعال وقل لى .

فى أحيان أخرى ، يجب وضع قيود فورية . عندما أراد عُمر (أربع سنوات) أن يقطع ذيل القطة ، «ليرى ما بداخله » ، تقبّلت أمه فضوله العلمى ، ولكنها قيّدت فعله فى حزم :

ـ أعرف أنك تريد أن ترى كيف يبدو من الداخل . ولكن الذيل لابد أن يظل فى مكانه . دعنا نحاول أن نجد صورة لتُبيّن لك كيف يبدو من الداخل .

وعندما وجدت الأم ، باهى (خمس سنوات) يرسم على حائط حجرة المعيشة ، كان رد فعلها الأول أن تصفعه . ولكنه بدا عليه الفزع لدرجة أنها أحجمت عن ضربه . وبدلاً من ذلك ، قالت له :

ـ لا ، يا باهى ، إن الجدران ليست للرسم . ارسم على الورق . ها هى ذى بعض الأوراق .

وبدأت الأم فى تنظيف الحائط . وتأثر باهى جداً بذلك وقال :

ـ أنا أحبك يا أمى !

لاحظ الفرق فى نفس الموقف فى بيت آخر :

ـ ماذا تفعل ؟ ماهذا الهباب ؟ ألا تعلم أن من المفروض أن تحافظ على نظافة الجدران ؟ طفل مُنَفِّر ، لا أدرى ما الذى أفعله معك . انتظر حتى يأتى أبوك إلى البيت ، وسأقول له عن ذلك . وستتلقى جزاءك !

التأديب : فى الماضى والحاضر :

هناك اختلاف كبير بين طريقة التأديب فى الماضى والحاضر : لقد اعتاد الآباء ، فى تأديب الطفل ، أن يوقفوا الأفعال غير المرغوب فيها ولكن كانوا يتجاهلون الحوافز التى أدت إلى هذه الأفعال . وكانت توضع القيود فى وسط الاحتدام الغاضب وغالباً ما كانت متنافرة ، متناقضة ، ومهينة ، علاوة على أن التأديب كان يتم فى وقت يكون فيه الطفل بعيداً كل البعد عن القدرة على الاستماع ، ولكلمات لاشك فى أنها تثير فيه المقاومة والعدوان . وغالباً ما يترك الطفل مع الانطباع المميت أنه ليس مجرد فعله الذى قد تم انتقاده ، بل هو كشخص غير صالح .

أما الطريق الحديثة فتساعد الطفل بكل مشاعره وسلوكه . فالآباء يسمحون للطفل (تحت شروط سنتعرض لها فيما بعد) أن يُعَبِّر عما يشعر ، ولكنهم يقيدون الأفعال غير المحبوبة ويوجهونها ، وتوضع القيود بطريقة تحافظ على احترام الذات بالنسبة للأبوين ، وكذلك بالنسبة للطفل . وليست القيود مجحفة ولا هوائية ، بل تربوية وبنّاءة للشخصية .

وتطبق القيود بدون عنف أو غضب زائد . واستياء الطفل للقيود مقدّر ومفهوم ؛ ولا يعاقب ، بشكل إضافى ؛ لأنه لايحب المحظورات .

وهكذا ، قد يؤدى التأديب المستخدم ، إلى القبول الإرادى من قبل الطفل للحاجة إلى كبح وتغيير بعض من سلوكه . وبذلك ، قد يؤدى التأديب الأبوى بالتالى إلى الانضباط النفسى . وبالتماثل مع الأبوين والقيم التى يشخصونها ، يحصل الطفل على معايير داخلية لانضباط النفس .

ثلاث مناطق للانضباط :

يحتاج الأطفال إلى تعريف بالسلوك المقبول وغير المقبول . إنهم يشعرون بأمان أكثر عندما يعرفون حدود الأفعال المسموح بها . وباستخدام تشبيه اقترحه الدكتور «فريتز ريدل» ، يمكننا أن نقول : إن سلوك الأطفال يقع فى ثلاث مناطق لونية . . أخضر ، وأصفر ، وأحمر : المنطقة الخضراء تحتوى على السلوك المطلوب والمجاز ، إنها المنطقة التى نعطى لها كلمة «نعم» بحرية وسماحة . والمنطقة الصفراء تتضمن السلوك غير المجاز ، ولكن يمكن السماح به لأسباب خاصة ، مثل :

١ ـ التفاوت المسموح به للمتعلمين . السائق الذى معه رخصة تعليم لا يأخذ مخالفة عندما يعطى إشارة يمين ، أو ينحرف لليسار . مثل هذه الأخطاء يسمح بها من أجل تحسّن الأداء المتوقع فى المستقبل .

٢ ـ التفاوت المسموح فى أوقات الشدة . مواقف عصيبة خاصة . . الحوادث ، المرض ، الانتقال إلى سكن جديد ، الانفصال عن الأصدقاء ، الموت أو الطلاق فى الأسرة . . . .

كل هذا يتطلب تفاوتاً ومسموحاً إضافياً . إننا نسمح به لتفهمنا للأوقات العصيبة والأوضاع الجديدة . إننا لانتظاهر بأننا نحب هذا السلوك؛ بل إننا نُفصح أن هذا السلوك مسموح به فقط بسبب الظروف الاستثنائية .

والمنطقة الحمراء تغطى السلوك الذى لايمكن السماح به على الإطلاق ، ويجب أن يوقف . وتتضمن هذه المنطقة السلوك الذى فيه خطر على الصحة وصالح الأسرة أو

كيانها وأوضاعها المالية . كما تتضمن أيضاً السلوك الممنوع لأسباب قانونية ، أو أخلاقية ، أو اجتماعية .

ومن المهم التمسك بالمنع فى المنطقة الحمراء مثل التمسك بالسماح فى المنطقة الخضراء . وعندما يسمح لطفل بسلوك يعرف أنه لايجب السماح به يزداد اضطرابه وقلقه . طفل (ثمانى سنوات) قد سمح له بالتعلق بمؤخرة أتوبيس متحرك يتّهم أمه بأنها لاتحبه :

ـ إذا كنت تهتمين بى حقاً ، لما تركتينى أجازف بهذا الشكل .

وطفل آخر أقر بأن أباه ليس لديه المعايير المضبوطة ؛ لأنه سمح له بأن يحمل «مطواة قرن غزال» . وطفل آخر فقد احترامه لوالديه ؛ لأنهما لم يوقفا عبث إخوته بكتبه . إن الأطفال الصغار لديهم صعوبة حقيقية فى التغلب على الدوافع غير المقبولة اجتماعياً . ويجب على الآباء أن يكونوا معْبراً لصراع الطفل من أجل التحكّم فى مثل هذه الدوافع . ويقدم الآباء مساعدة جليلة للطفل بوضع الحدود . والحدود بجانب إيقاف السلوك الخطير تعبّر عن رسالة صامتة :

ـ لا داعى للخوف من دوافعك ؛ لأننى لن أدعك تتخطّى المحظور . أنت فى أمان .

فـن وضع الحـدود :

فى وضع الحدود ، كما هو الحال فى التربية كلها ، يعتمد الناتج على سير العمل . ويجب ذكر الحدود بكل وضوح ، ليعرف منها الطفل :

(أ) ما الذى يشكّل السلوك غير المقبول .

(ب) ماهو البديل المقبول .

لايمكنك إلقاء الصحون ؛ يمكنك إلقاء الوسائد . أو بتعبير أكثر حسماً :

الصحون ليست للإلقاء ، الوسائد ممكن .

البيت ليس للعب الكرة ؛ لعب الكرة فى الساحة .

من الأفضل لأى حد من الحدود أن يكون شاملاً قاطعاً ، فمثلاً يوجد فرق واضح بين رش الماء وعدم رش الماء على الأخت . فالحد الذى يذكر :

ـ يمكنك رش أختك بكمية ضئيلة من الماء ، طالما أنك لا تتسبب فى بللها كثيراً .

ذلك الحد يدعو إلى كثير من المشاكل . ومثل هذه العبارات المبهمة تترك الطفل فى حيرة ، وبدون معيار واضح لصنع القرارات .

ويجب أن يُذكر الحد بحزم ، حتى يحمل رسالة واحدة فقط للطفل :

ـ هذا المنع للتنفيذ . وأنا أقصد ذلك .

وعندما يكون أحد الأبوين غير متأكد مما يفعل ، فمن الأفضل ألاّ يفعل شيئاً سوى أن يفكّر ويوضّح مواقفه . والذى يتردّد ، فى وضع الحدود ، سيضيع فى مناقشات لا نهاية لها . والقيود المنفَّذة بشكل أخرق وبطريقة عرجاء تصبح تحدياً للأطفال وتستدعى معركة للإرادات التى لايستطيع أحد الفوز فيها ، ويجب أن يُذكر الحد بطريقة محسوبة بتروٍّ لتخفيض الاستياء للحد الأدنى ، ولحفظ احترام الذات . وعملية وضع الحد نفسها يجب أن تحمل فى طياتها السلطة ، لا الإهانة ، على أن يتعامل الحد مع حادثة معينة لا مع تاريخ تطوّرى . ومقاومة الإغراء بتنقية المشاكل بخبطة كبيرة واحدة . والمثال التالى يصوّر حالة غير مرغوب فيها :

إلهام (ثمانى سنوات) ذهبت مع أمها إلى أحد المحال الكبرى . وبينما كانت الأم تقوم باختيار مشترياتها ، انجذبت إلهام إلى قسم اللُّعب وانتقت ثلاث لعب . وعندما جاءت الأم سألتها إلهام بثقة :

ـ أى لعبة يمكن أن آخذها البيت ؟

فاندفعت الأم ، التى أنفقت لتوّها الكثير على ملابس ليست متأكدة أنها فى حاجة إليها ، قائلة بدون تفكير :

ـ لُعب أخرى ! إن لديك لُعباً لاتعرفين ماذا تفعلين بها . كل شيء ترينه تريدين أن تشريه ! لقد جاء الوقت لتتعلمي كبح شهوة الاقتناء .

وبعد دقيقة واحدة أدركت الأم مرجع غضبها المفاجيء ، وحاولت استرضاء ابنتها ورشوتها بآيس كريم . ولكن النظرة الآسفة ظلّت على وجه إلهام .

عندما يطلب الطفل شيئاً ما لانستطيع تحقيقه له ، يمكننا على الأقل أن نمنحه الارتياح باحتفاظه بالأمنية لهذا الشيء . وهكذا كان من الأفضل لأم إلهام أن تقول :

ـ إنك تتمنين أن تأخذي بعض اللعب للبيت .

ـ أكيد، أنك تتمنين لو استطعت أخذ كل رف اللُّعب للبيت . ولكن لاتوجد ميزانية لأي لعبة اليوم . ومع ذلك ، يمكنك أن تشتري بالونة أو قطعة حلوى . أيهما تختارين : البالونة أم قطعة الحلوى ؟

وربما تختار إلهام قطعة الحلوى ، وتنتهي كل هذه الواقعة إلى ذلك . أو ربما تبكي إلهام . وفي كلتا الحالتين ستلتزم الأم بقرارها . وقد تبين لها ثانية تفهّمها بإظهار رغبة ابنتها في اللعب . . . ولكن لابد من تدعيم الحد .

ـ إنك تودين الحصول على اللُّعب . إنك تريدينها جداً . وتبكين لتظهري لي ذلك . أعرف ، يا حبيبتي ، ولكن ليس اليوم .

توجد طرق مختلفة لصياغة الحدود المعينة . وأحياناً قد تكون الخطوات المتعاقبة التالية مؤثرة :

١ ـ يعترف الأب أو الأم برغبة الطفل ، ويُصيغانها في كلمات بسيطة :

ـ إنك ترغب ـ لو استطعت ـ في الذهاب إلى السينما الليلة .

٢ ـ يذكر بوضوح حدود الفعل المعين :

ـ ولكن القاعدة في منزلنا هي لا ذهاب للسينما في أيام المدرسة .

٣ ـ يسير إلى طرق يمكن بها تحقيق الرغبة ولو جزئياً على الأقل :

ـ يمكنك الذهاب إلى السينما يوم الخميس أو الجمعة .

٤ ـ يساعد الطفل ليعبِّر عن بعض الاستياء الذى قد ينشأ عن سرد القيود :

ـ من الواضح أنك لا تحب القاعدة .

ـ إنك تتمنى عدم وجود مثل هذه القاعدة .

ـ إنك تتمنى لو كانت القاعدة تقول : كل ليلة سينما .

ـ عندما تكبر وتكون فى بيتك ، ستغير هذه القاعدة بالتأكيد .

وليس من الضرورى أو من العقول أن تصوغ الحد بهذا الشكل دائماً . فأحياناً ، من الضروى ذكر الحد أولاً ، ثم توضيح المشاعر فيما بعد . عندما يوشك طفل أن يرمى أخته بحجر ، فالأم يجب أن تقول :

ـ ليس عليها ، على الشجرة !

وستُحسن لو وجهت الطفل وأشارت فى اتجاه الشجرة . ثم تأتى بعد ذلك إلى المشاعر ، وتقترح بعض الطرق غير المؤذية للتعبير عنها :

ـ يمكنك أن تغضب من أختك كما تشاء .

ـ يمكنك أن تثور . وفى داخلك قد تكرهها ، ولكن دون إيذاء .

ـ وإذا أردت ، يمكن إلقاء الحجارة على الشجرة وتظاهر بأنها أختك .

ـ وإذا أردت ، يمكنك أيضاً رسم وجهها على ورقة ، وثبتها على الشجرة ، ثم ألق الحجارة ؛ ولكن يجب عدم إيذاء أختك .

ويجب صياغة الحدود فى لغة لا تتحدى احترام الطفل لذاته . . والحدود تلفت الانتباه بشكل أفضل عندما تذكر بشكل محكم وغير شخصى :

ـ لا ذهاب للسينما فى أيام المدرسة .

تثير استياء أقل من :

ـ تعرف أنك لاتستطيع الذهاب للسينما فى أيام المدرسة .

ـ هذا وقت النوم .

تُقبل باستعداد أكثر من :

ـ إنك صغير جداً حتى تظل مستيقظاً إلى الآن . اذهب إلى فراشك .

ـ انتهى وقت التليفزيون اليوم .

أفضل من :

ـ لقد شاهدت ما فيه الكفاية اليوم . أغلق التليفزيون .

ـ لا أحد يصيح فى أحد .

يمكن تقبلها وطاعتها عن :

ـ من الأفضل لك ألاّ تصيح فيه .

إن الحدود تقبل بطواعية أكثر عندما تشير إلى وظيفة شىء ما :

ـ الكرسى للجلوس لا للوقوف عليه .

أفضل من :

ـ لا تقف على الكرسى .

ـ هذه المكعبات للَّعب لا للرمى .

أفضل من :

ـ لا ترم المكعبات .

أو ـ أنا آسفة جداً ـ لايمكن أن أدعك ترمى المكعبات ، إن هذا خطر جداً .

مشاكل الانضباط والنشاط البدنى :

كثير من مشاكل الانضباط مع الأطفال الصغار تنشأ من كبح الأنشطة البدنية .

ـ لا تركض . . . ألا تستطيع أن تمشى كالطفل الطبيعى ؟

ـ لا تقفز .

ـ اجلس معتدلاً .

ـ لماذا تقف على قدم واحدة وأنت تعلم أن لديك قدمين ؟

ـ ستسقط وتكسر ساقك .

يجب عدم كبت أنشطة الأطفال الحركية . ومن أجل كل من الصحة العقلية والبدنية فالأطفال يحتاجون إلى الجرى ، والقفز ، والتسلق ، والوثب ، الخ . أما بالنسبة لسلامة الأثاث فهذا شىء مفهوم ، ولكن يجب ألا يبطل اهتمامنا بسلامة الأطفال . ومنع النشاط البدنى للأطفال الصغار ينتج توتُّراً عاطفياً يؤدى إلى نشاط مفرط وعدوانى .

إن ترتيب ظروف لبيئة مناسبة لتفريغ مباشر للطاقة فى شكل أنشطة عضلية ـ شرط أوّلى ـ من أجل انضباط جيد بالنسبة للأطفال ولحياة أيسر بالنسبة للآباء ، ولكننا كثيراً ما نغفله .

الإلــزام بالانضبــاط :

عندما تكون مشاعر الآباء إزاء القيود واضحة تماماً ، والقيود مصوغة بلغة مسالمة ، فعادة ما يطيع الطفل . ومع ذلك ، فمن وقت لآخر ، سيكسر الطفل القاعدة . والسؤال هو :

ماذا نفعل عندما يتجاوز الطفل حداً مقرراً أو عندما يخالف محظوراً بيّن المعالم ؟

إن الإجراء التربوى يتطلب أن يلتزم الأب أو الأم بدور الإنسان الناضج بعطف ولكن بحزم . وفى رد الفعل على طفل انتهك حدًّا من الحدود فعلى الآباء ألاّ يصبحوا مجادلين مطنبين ، ويجب ألا ينزلقوا إلى مناقشة عن مناسبة هذا الحد أو عدم مناسبته .

كما يجب ألا يعطى شرحاً طويلاً له . ومن غير الضرورى أن نشرح للطفل : لماذا يجب ألا يضرب أخته ، . سوى أن نقول :

ـ الناس ليسوا للإيذاء .

أو لماذا يجب ألا يكسر النافذة ، سوى أن نقول :

ـ النوافذ ليست للكسر .

وعندما يتمادى الطفل عن الحد ، يتزايد قلقله ؛ لأنه يتوقع الردع والعقاب . فلا حاجة للآباء أن يزيدوا قلق الطفل فى هذا الوقت . وإذا تحدث الآباء كثيراً ، فسيعلنون بذلك عن ضعفهم . . فى وقت يجب أن يعلنوا فيه عن القوة . والطفل يحتاج فى أوقات كهذه إلى حليف كبير ليساعده فى التحكم فى دوافعه دون فقدان ماء الوجه . ويصور المثال التالى طريقة غير مرغوب فيها فى وضع الحدود :

الأم : يظهر أنك لن ترتاح حتى ترانى أصرخ . [تصرخ بصوت عال وفى هياج] كفاية . . وإلاّ والله العظيم سأخرج منك العفاريت الزرق ! وإذا ألقيت بشىء آخر ، فسترى ما سأفعله معك !

كان يمكن للأم ، بدلاً من استخدام التهديد والوعيد ، أن تعبِّر عن غضبها الحقيقى بشكل مؤثر أكثر :

ـ إننى أكاد أجن عندما أرى ذلك !

ـ إن هذا يُغضبنى !

ـ إن هذا يثير أعصابى !

ـ هذه الأشياء ليست للرمى ! أما الكرة فهى للرمى !

وفى وضع قيد موضع التنفيذ ، يجب على الآباء أن يكونوا حريصين ألاّ يبدأوا معركة للإرادات .

جيهان (فى الملعب) : أنا أحب الملعب ، إننى لن أذهب إلى البيت الآن . سأبقى ساعة أخرى .

الأب : أنت تقولين ذلك ، ولكن أنا أقول : لا .

إن مثل هذه الصيغة قد تؤدى إلى إحدى نتيجتين ، كلتاهما غير مُحَبَّبة : هزيمة للطفل أو هزيمة للأب . والطريقة الأفضل هى فى التركيز على رغبة الطفلة للبقاء فى الملعب ، بدلاً من تهديدها لتحديها الأمر . فعلى سبيل المثال ، كان من الممكن للأب أن يقول :

ـ أرى أنك تحبّين الملعب ، أظن أنك تتمنين لو استطعت البقاء مدة أطول ، حتى مدة عشر ساعات . ولكن الوقت بالنسبة لليوم انتهى . والآن يجب أن نمشى .

وإذا مرّت دقيقة أو اثنتان ومازالت جيهان تصر على موقفها ، فيمكن للأب أن يأخذها من يدها ، ويخرج بها من الملعب . إن الفعل ، مع الأطفال الصغار ، كثيراً ما يتحدث بصوت أعلى من الكلمات .

الآبـاء ليسـوا للركـل :

يجب ألا يسمح للطفل مطلقاً بضرب أبويه . إن مثل هذه التهجمات البدنية تكون ضارة لكل من الطفل والأبوين . إنها تجعل الطفل يشعر بالقلق والخوف من الرد بالمثل . وتجعل الأبوين يشعران بالغضب والكراهية . إن حظْر الضّرب وتحريمه شىء ضرورى لتجنيب الطفل الشعور بالذنب والقلق ، ولمساعدة الآباء أن يظلوا منفتحين عاطفياً للطفل .

إننا نشاهد ، من وقت لآخر ، مناظر مؤذية لبعض الأمهات يحاولن الهرب ، مثلاً ، من رفس الطفل لهن على الساق ، فيقترحن أن يضربوهن على أيديهنّ بدلاً من ساقهن :
ـ يمكنك أن تضربنى بخفّة ، لكن يجب عليك ألا تؤلمنى فعلاً .

هذا ما كانت تتوسل به أم فى الثلاثين من عمرها لطفل عمره أربع سنوات ، باسطة له ذراعها .

إن المرء يقاوم الإغراء فى التدخل ليقول لها :

ـ لاتفعلى هذا يا سيدتى . إنه سيكون أقل ضرراً لو أنك ضربتيه بدلاً من أن يضربك هو .

كان يجب على الأم أن توقف تهجم الطفل على الفور :

ـ لاتضرب . أنا لن أسمح لك أن تفعل ذلك على الإطلاق !

ـ إذا كنت غاضباً ، فقل لى هذا بالكلمات !

ـ إن الحد ضد ضرب الآباء يجب عدم التساهل فيه تحت أى ظرف من الظروف . إن التربية المؤثرة مبنية على الاحترام المتبادل بين الأبوين والطفل بدون أن يتنازل الأبوان عن دوريهما . وعند إخبار الطفل أنه يمكنه أن يضرب ، ولكن بدون إيلام ، فالأم تطلب منه عندئذ أن يقوم بعمل تمييزى دقيق جداً ، فيدخل الطفل فى تحدّ لايقاوم لإخضاع المحظور تحت الاختبار ، واكتشاف الفرق بين الضرب المازح والضرب المؤلم .

الضرب على المؤخرة (*) :

بالرغم من أن لهذا الضرب سمعته السيئة ، فإنه طريقة شائعة فى التأثير على الأطفال . إنّه عادة ما يطبّق على الأطفال كملاذ أخير ، بعدما تفشل أسلحة التهديد والحجج المألوفة فى إصابة الهدف . وكثيراً ما يتم بدون تخطيط ، ولكنه يحدث فى نوبة غضب عندما نصل إلى نهاية تحملنا . ويبدو الضرب على المؤخرة فعالاً فى وقته : فهو يهدىء التوتر المكبوت فى الآباء ويجعل الطفل مطيعاً لفترة على الأقل . وكما يقول بعض الآباء :

ـ إنه يُنقّى الجو .

إذا كان الضرب على المؤخرة فعالاً هكذا ، فلماذا تكون لدينا مثل هذه المشاعر القلقة

---

* لا يعترف المجتمع الأمريكى إلاّ بهذا النوع من الضرب كعقاب بدنى . المترجم .

إزاءه ؟ إننا لانستطيع أن نُسكت شكوكنا الداخلية بخصوص الآثار طويلة المدى للعقاب البدنى . إننا نشعر ببعض الارتباك باستخدام القوة ، ونظل نقول لأنفسنا :

ـ لابد من وجود طريقة أفضل لحل المشاكل .

إن الخطأ فى الضرب على المؤخرة هو الدرس الذى يعلّمه . إنه يعلم الأطفال طرقاً غير محبوبة فى التعامل مع الإحباط . إنه يقول لهم بشكل مأساوى :

ـ عندما تكون غاضباً . . . اضرب !

وبدلاً من إبراز براعتنا فى إيجاد مخرج متحضّر لمشاعرنا الضارّة ، نعطى أطفالنا مذاقاً للغاية .

ومن أحد الأعراض الجانبية السيئة للعقاب البدنى أنه قد يتدخّل فى نمو وعى الطفل . إن الضرب على المؤخرة يزيل الشعور بالذنب بسهولة جداً : فالطفل بعدما يدفع ثمن سوء سلوكه ، يشعر بأنه حر فى تكراره . فتنمّى فى الأطفال ما تسميه «سلمى فرايبرج» Selma Fraiberg فى كتابها «السنوات الساحرة » «طريقة إمساك الدفاتر» لسوء التصرف : إنّه يسمح لهم أن يسيئوا التصرف ، على أن يدفعوا مقابل ذلك أقساطاً أسبوعية أو شهرية من الضرب . ويتحرّشون بآبائهم من وقت لآخر لضربهم .

والطفل الذى يطالب بالعقاب يحتاج إلى مساعدة فى التحكم فى شعوره بالذنب والغضب ، لا الإذعان لطلبه . وهذه ليست مهمة سهلة : فى بعض المواقف ، يمكن الإقلال من الذنب والغضب عن طريق مناقشة الآثام بشكل صريح . وفى مواقف أخرى تحتاج دوافع الطفل أن نقبلها بدون نقد ، مع وضع حدود على أفعاله . ويمكن عندئذ توجيه دوافع الطفل إلى متنفسات رمزية مقبولة . وعندما نعطى الطفل طرقاً أفضل للتعبير عن الذنب والغضب ، وعندما نتعلم نحن الآباء طرقاً أفضل لوضع الحدود وتنفيذها ، ستتقلّص الحاجة إلى العقوبة البدنية .



يوم فى حياة طفل

ألقت الحضارة الآباء ـ فى دور «مفسدى البهجة» الذين يجب أن يقولوا : لا لكثير من متع الطفل العظيمة : لا تمص إصبعك لا تلعب فى أنفك ، لا تلمس عضوك التناسلى، لا تلعب فى القاذورات ، لا تصدر صوتاً . إن الحضارة بالنسبة لصغار الأطفال باردة وقاسية : فبدلاً من الثدى الناعم ، نقدم له فنجاناً جامداً . وبدلاً من الحفّاضات الدافئة ، نقدم له القصرية الباردة ، ونطلب منه التحكم فى نفسه .

وبعض القيود حتمية ، لا مفر منها ؛ ليصبح الطفل كائناً اجتماعياً . ومع ذلك ، يجب على الآباء ألا يبالغوا فى لعب دورهم كرجال شرطة لهذه الحضارة ، خشية أن يتسببوا فى الاستياء والعداوة التى يمكن تجنّبها .

الصباح الجميل :

لايجب على الأم أن تكون هى التى توقظ طفلها الذى فى سن المدرسة كل صباح . فالطفل يستاء من الأم التى تزعجه من نومه وتزعجه من أحلامه . إنه يفزع من دخولها لحجرته وسحبها لغطائه ومن صوتها الذى يقول :

ـ انهض ! الوقت متأخر !

من الأفضل إذا استيقظ الطفل عن طريق ساعة منبهة ، بدلاً مما قد يبدو له مثل «أم منبهة» .

شيماء (ثمانى سنوات) تجد صعوبة فى النهوض من الفراش فى الصباح . تحاول كل صباح أن تبقى فى الفراش لبضع دقائق أخرى لا نهائية ، وسواء كانت الأم حلوة أم فظة ، فشيماء تتمنَّع فى تشبث : بطيئة فى النهوض ، مكتئبة عند الإفطار ، متأخرة

عن الذهاب إلى المدرسة . والمجادلات اليومية تترك أمها متعبة ممتعضة .

وتَحَسَّنَ الموقف بشكل كبير عندما أعطت الأم لابنتها هدية غير متوقعة . . . ساعة منبهة . وفى صندوق الهدية وجدت شيماء ورقة مكتوباً فيها :

ـ إلى شيماء التى لاتحب أن يوقظها أحد مبكراً فى الصباح ، الآن يمكنك أن تكونى مسئولة عن نفسك . . . يا حبيبتى ، التوقيع : أمك .

واندهشت شيماء بهذه المفاجأة السارة ، وقالت :

ـ كيف عرفت أننى لا أحب أن يوقظنى أحد ؟

فابتسمت الأم وقالت :

ـ تصورت ذلك .

وعندما رقَّت الساعة المنبهّة فى الصباح التالى ، قالت الأم لشيماء :

ـ ما زال الوقت مبكراً يا حبيبتى . لماذا لا تنامين بضع دقائق أخرى ؟

فقفزت شيماء من فراشها وهى تقول :

ـ لا . أخشى أن أتأخر عن المدرسة .

إن الطفل الذى لا يستطيع أن يستيقظ بسهولة ، لا يجب أن يوصم بالكسل ؛ والذى لا ينهض وتنفرج أساريره فى الحال لا يجب أن يقال عنه « وجهه نكد . . يقطع الخميرة من البيت » .

إن الاطفال الذين يجدون صعوبة فى أن يكونوا « فرحين سعداء فى الصباح لا يحتاجون إلى السخرية . وبدلاً من الاحتكاك بهم فى معركة حامية الوطيس ، فمن الأفضل أن ندعهم يمتعون أنفسهم بعشر دقائق ذهبية أخرى من النوم أو أحلام اليقظة . ويمكن تنفيذ ذلك بضبط الساعة المنبهة على أن ترن فى وقت مبكر . ويجب أن تحمل أقوالنا التقمص العاطفى بدلاً من الغضب أو الاستهزاء أو الانزعاج على الصحة :

ـ إن من الصعب الاستيقاظ اليوم .

ـ إن الرقاد فى السرير والاستسلام للأحلام لشىء ممتع .

ـ خذ لك خمس دقائق أخرى .

إن مثل هذه الأقوال تجعل الصباح وضّاءً بالبهجة والسعادة ؛ إنها تخلق جوّاً من الدفء والمودة . على عكس الأقوال التالية ، فهى تدعو لجو عاصف بارد :

ـ استيقظ يا كسلان !

ـ قم من هذا السرير حالاً ، وإلا فسأعاقبك !

ـ قم سقط عليك حائط !

أما مثل الأقوال التالية :

ـ هل مازلت فى السرير ؟ هل أنت مريض ؟ هل تشعر بأى ألم ؟ هل عندك مغص؟ صداع ؟ أخرج لسانك لأراه . .

فهى توحى للطفل بأن الطريقة التى يستحوذ بها على الرعاية الحانية هى أن يكون مريضاً . وقد يفكّر أيضاً أن أمه سيخيب ظنّها إذا اعترف بعدم إصابته بأى مرض من الأمراض التى ذكرتها بشكل رؤوم . ولإرضاء الأم قد يشعر الطفل أنه مضطر إلى الاعتراف بأنه يشعر بالمرض .

ساعة الذروة :

عندما نقول للطفل أن يسرع ، فهو يأخذ وقته ، وغالباً ما يقاوم بالانشغال فى التباطؤ . وما يظهر من عدم فعالية هو فى الواقع سلاح الطفل الفعال ضد طغيان الجدول الزمنى الذى لايتناسب معه .

يجب ألا نستعجل الطفل دائماً . بل من الأفضل أن نعطيه حدود الوقت المعقول ، ونتركه ليكون جاهزاً فى الوقت المطلوب :

ـ أتوبيس المدرسة سيكون هنا بعد عشر دقائق .

ـ العشاء سيكون فى تمام التاسعة : والآن الساعة الثامنة والنصف .

ـ إن صديقك سيكون هنا فى خلال خمس عشرة دقيقة .

إن القصد من قولنا الموجز هو أننا نقول للطفل : إننا نتوقع منه أن يكون جاهزاً فى الموعد المحدّد ، وأننا نثق فى ذلك تماماً .

الإفطار : وجبات بدون مواعظ :

إن وجبة الإفطار ليست وقتاً مناسباً لتعليم الأطفال الفلسفات العالمية ، أو المواعظ ، أو آداب التصرف . إنه الوقت المناسب لننقل فيه للأطفال أن منزلهم فيه مطبخ ومائدة طعام مع جو بهيج وطعام جيد .

وبصفة عامة ، فالإفطار ليس الوقت المناسب للمحادثات الطويلة . فغالباً ما يكون الآباء أو الأطفال نعسانين ، ضيّقى الخلق ، وقد تتحول المجادلات إلى نوبات غضب بسهولة .

ارتداء الملابس : معركة رباط الحذاء :

فى بعض البيوت ينشغل الآباء والأطفال فى معركة يومية على رباط الحذاء . ويقول أحد الآباء :

ـ عندما أرى حذاء ابنى مفكوك الرباط ، تنفك معه أعصابى . أريد أن أعرف هل نُجْبره على ربطه أم ندعه يتجول به مفكوكاً . وقد يكون فى غمرة السعادة ، ولكن ألا يجب أن نعلّمه المسئولية ؟

من الأفضل عدم ربط تعليم المسئولية مع ربط الحذاء ؛ ومن الأفضل تجنب المجادلات بشراء حذاء الطفل بدون رباط أو ربطه بدون تعليق . ويظل المرء يؤكد أن الطفل نفسه إن آجلاً أو عاجلاً سيتعلم الاحتفاظ بحذائه مربوطاً .

لايجب أن يذهب الأطفال للمدرسة وهم يرتدون «ماعلى الحبل» . فلا يجب أن يقلقوا بخصوص الاحتفاظ بملابسهم نظيفة ، بل يجب أن تأخذ حركة الطفل ـ على الجرى ـ أو القفز ، أو اللعب ـ أسبقية على نظافة الملابس . وعندما يعود الطفل من المدرسة بقميص متّسخ ، فعلى الأم أن تقول :

ـ يبدو أنك قضيت يوماً حافلاً . إذا أردت أن تغير ، يوجد قميص آخر فى حجرتك .

وليس من المفيد أن تقول للطفل : كم هو آخر بهدلة ! وكم يبدو قذراً ! وكم تعبنا وزهقنا من غسيل وكى قمصانه ! فالطريقة الواقعية لاتركن لمقدرة الطفل على تقديم النظافة على اللعب . وبدلاً من ذلك تأخذها أمراً مسلماً به أن ملابس الأطفال لن تستمر نظيفة لمدة طويلة . وزيادة لبس الطفل للقمصان قميصين نظيفين أفضل بالنسبة للصحة العقلية من مائة موعظة عن النظافة .

الذهاب إلى المدرسة :

من الممكن توقع أن الطفل فى اندفاعه فى الصباح قد ينسى بعض كتبه ، أو نظارته ، أو سندوتشاته أو مصروفه . ومن المستحسن مناولته ماقد نسيه بدون إضافة أية مواعظ عن سرحانه وعدم مسئوليته . وسيكون القول :

ـ ها هى نظّارتك .

أكثر فائدة للطفل عن :

ـ أريد أن أعيش وأرى اليوم الذى تتذكر فيه لبس نظارتك .

ـ هاهو ذا سندويتشك .

أفضل من :

ـ إنك شارد الذهن . إنك ستنسى رأسك إذا لم تكن مثبتة فوق كتفيك .

ـ ها هو ذا مصروفك .

سيفضلها الطفل أكثر من السؤال التهكمى :

ـ كيف تخرج بدون نقود ؟

ويجب عدم إعطاء الطفل كشفاً باللوم والتحذير قبل الذهاب إلى المدرسة :

ـ فلتجعله يوماً سعيداً .

أفضل من التحذير العام :

ـ إياك والدخول فى مشاكل .

ـ سأراك فى الساعة الثانية .

أكثر إرشاداً للطفل عن :

ـ لا تَصُلْ وتَجُلْ فى الشوارع بعد المدرسة .

العودة من المدرسة :

من المحبب أن تكون الأم فى البيت لاستقبال الطفل عند عودته من المدرسة . وبدلاً من سؤاله أسئلة تجعله يجيب إجابات مبتذلة . . . :

ـ كيف كانت المدرسة ؟

ـ تمام .

ـ ماذا فعلت اليوم ؟

ـ لاشىء .

. . . يمكن للأم أن تقول ما يحمل تفهمها للمحاولات والمحن بالمدرسة :

ـ يبدو أنك قضيت يوماً عصيباً !

ـ أكيد لم تستطع الانتظار لانتهاء المدرسة !

ـ يبدو أنك سعيد برجوعك للبيت .

وعندما لايمكن للأم أن تكون فى البيت لتستقبل طفلها العائد فمجرد رسالة تقول فيها أين هى تعتبر مفيدة جداً . وبعض الأمهات اللاتى لهن أطفال فى المدارس يستخدمن الرسالة المكتوبة لتعميق العلاقة مع أطفالهن . إنه من السهل عليهن أن يعبّرن عن تقديرهن وحبهنّ كتابة . وبعض الأمهات يتركن رسائل مسجلة على شريط تسجيل صغير . ويستطيع الطفل الاستماع لكلمات الأم مرات ومرات .

على أية حال ، مثل هذه الرسائل تشجع التفاهم المجدى بين الآباء والطفل .

عودة الأب للبيت :

عندما يعود الأب للبيت بعد الظهر ، فهو يحتاج إلى فترة انتقالية هادئة بين مطالب الدنيا ومطالب أسرته . فيجب عدم مقابلة الأب عند الباب بوابل من الشكوى والمطالب . إن مشروباً جاهزاً ، أو حماماً دافئاً ، أو بريد اليوم ، أو مجلة الأسبوع، مع فترة «اللاأسئلة» ـ تساعد على خلق واحة الهدوء التى تضيف الكثير لنوعية حياة الأسرة . ومن الطفولة المبكرة ، يتعلم الأطفال أنه عند عودة الأب للبيت ، فهو يحتاج إلى فترة قصيرة من الهدوء والراحة . والعشاء أو الغداء ، من ناحية أخرى ، يجب أن يكون وقتاً للمحادثة . ويجب التركيز على الطعام بشكل أقل ، إلا إذا كان ذلك التركيز من أجل الفكر . فقليل من الملاحظات على كيف وماذا يأكل الطفل ، وبعض الأفعال الانضباطية ، مع أمثلة كثيرة من فن الحديث العتيد .

وقت النوم :

فى كثير من البيوت وقت النوم هو وقت الهرج والمرج ـ كمجانين مستشفى المجاذيب ـ مع أطفال وأمهم وهم يشكّلون مجتمعاً من الإحباط المتبادل . فالأطفال يحاولون البقاء مستيقظين أطول مدة ممكنة ، فى حين أن الأم تريدهم أن يخلدوا للنوم فى أسرع وقت ممكن . وتصبح الأمسيات هى وقت العكننة الأكبر للأمهات ووقت المراوغة التكتيكية للأطفال .

إن أطفال ما قبل المدرسة يحتاجون من الأم أو الأب أن يدسوهم فى السرر . ويمكن

الاستفادة من وقت النوم من أجل المحادثة الحميمة مع كل طفل . ويبدأ الأطفال ، عندئذ ، فى التطلع إلى وقت النوم وانتظاره فى شوق . فهم يحبون أن يستأثروا بأمهم أو أبيهم ويكون لديهم وقت يقضونه معاً ، وإذا تحاملت الأم على نفسها ، واستمعت ، فسيتعلم الطفل إشراكها فى مخاوفه ، وآماله ، وأمنياته . إن هذه اللحظات الحميمة تخفف عن الطفل قلقله ، وتهدهده وتدخله فى نوم هانىء سعيد .

وهناك أيضاً بعض الأطفال الأكبر سناً يحبون أن تضعهم أمهاتهم فى الفراش . فيجب أن تحترم رغبتهم وتنفّذ لهم ذلك ، ويجب عدم السخرية منهم أو انتقادهم لحاجتهم إلى ما قد يبدو للآباء مايسمى «شغل عيال» . أما وقت النوم بالنسبة للأطفال الأكبر فيجب أن يحدد ويثبت موعده :

ـ وقت النوم هو بين الثامنة والتاسعة [أو التاسعة والعاشرة] . حدد أنت بالضبط متى تريد أن تنام .

ومن الأفضل ألا تقحم نفسك فى معركة عندما يدعى الطفل أنه «نسى» أن يذهب إلى الحمام أو أنه يريد كوباً من الماء . ومع ذلك ، فالطفل الذى يظل ينادى أمه لتعود إلى حجرته يجب أن يقال له :

ـ اعلم أنك تود أنى أستطيع أن أكون معك مدة أطول ، ولكن وقتى الآن من حق أبيك .

إن الأطفال فى حاجة إلى أن يعلموا بأن هناك علاقات ومواقف لابد من استثنائهم منها .

ليس الترخيص مطلوباً للترويح :

فى بعض البيوت ، للأطفال حق الفيتو (الاعتراض) على قدوم وذهاب آبائهم . وهناك آباء عليهم أن يحصلوا على الإذن من بعض الأطفال للسهر خارج البيت . وبعض الأمهات يتجنبن الذهاب إلى المسرح أو السينما بسبب رافع الستار المنتظر فى البيت .

إن الآباء ليسوا فى حاجة إلى الإذن أو الموافقة من الأطفال لكى يعيشوا حياتهم . وإذا بكى طفل لأن أمه وأباه سيخرجان فى المساء ، فيجب شجب مخاوفه ، أو رغباته فلا يجب الإذعان لها . يمكننا أن نفهم رغبته فى عدم تركنا له مع أحد غيرنا لمؤانسته ، بل ونتعاطف معه ونواسيه ، ولكن ليس من الضرورى شراء ترخيص منه للترويح عن النفس ونقول للطفل الباكى بتعاطف :

ـ اعلم أنك تود ألا نخرج الليلة . وأحياناً عندما لانكون هنا تشعر بالخوف . كنا نود أن نبقى معك ، ولكن أنا وأبوك سنذهب لنستمتع بفيلم [أو أصدقاء ، أو عشاء ، أو حفلة] الليلة .

ويجب تجاهل الرد على اعتراضات الطفل ، أو توسلاته ، أو تهديداته . ويجب أن يكون ردنا رداً حازماً وحنوناً :

ـ تود لو استطعنا البقاء معك ، ولكننا قد عملنا ترتيبات للخروج والاستمتاع بأمسية أنا وأبوك معاً .

التليفزيون : العراة والأموات :

لن تكتمل أى مناقشة عن يوم الطفل بدون تقدير أثر التليفزيون على قِيَمه وسلوكه . إن الأطفال يحبّون مشاهدة التليفزيون . إنهم يفضلونه على قراءة الكتب ، أو الاستماع للموسيقا ، أو الانشغال فى محادثة .

إن الأطفال مشاهدون ممتازون : فهم يتأثرون بسهولة ، بإيحاء وبأفكار الآخرين ويصدّقون الإعلانات . إنهم يتعلمون الجلجلة البلهاء بسهولة مدهشة ، ويصبحون سعداء جداً لدرجة يمتَنُّ لها صاحب الإعلان بإزعاج آبائهم بالشعارات والنداءات السخيفة . وهم يسألون القليل عن البرامج : فلا أصالة مطلوبة ، ولا فن ضرورى . فالجياد وحاملو المسدسات والبنادق يستأثرون باهتمامهم . وهكذا ، لساعات لانهاية لها . يوماً وراء يوم ، والأطفال يواجهون العنف والإجرام والقتل المختلط بالجلجلة والإعلانات .

والآباء يشعرون باتجاهين نحو التليفزيون . إنهم يحبون حقيقة أنه يشغل الأطفال بعيداً عن المتاعب ، ولكنهم قلقون إزاء احتمال ضرر عيون الأطفال وعقولهم . أما بالنسبة لأثره على البصر ، فلقد أكّد لنا الاختصاصيون أنه ليس فيه أى ضرر حتى فى المشاهدة الطويلة* . ومع ذلك ، فليس هناك يقين تماماً إزاء أثر التليفزيون على الشخصية . وقال الخبراء آراء متناقضة :

١ ـ التليفزيون سيىء للأطفال . إنه يولد شهوة للعنف ويجعل الأطفال متبلدى الشعور نحو معاناة الإنسان .

٢ ـ التليفزيون مفيد للأطفال : إن العنف المقدم بشكل درامى يساعد الأطفال على التخلص من دوافع العدوان .

٣ ـ التليفزيون له تأثير ضئيل على الأطفال : فالآباء والأقران هم الذين يشكلون الشخصية والقيم ، وليست الصور التى على الشاشة .

والكل وافق على حقيقة واحدة ، أن التليفزيون يستنفد جزءاً كبيراً من يوم الطفل . فكثير من وقته يقضيه مع جهاز التليفزيون ، بل أكثر من الوقت الذى يقضيه مع والده وأمه . وحتى لو كانت مشاهد الجنس والوحشية ماهى إلاّ متعة بريئة ، فهى تبعد الأطفال عن الأنشطة البناءة . فى بعض البيوت ، يسمح للأطفال بمشاهدة التليفزيون فى نهاية الأسبوع فقط . وفى بعض البيوت الأخرى يسمح لهم فى أوقات وبرامج معينة منتقاة بموافقة الوالدين ، ومثل هؤلاء الآباء يؤمنون بأن التليفزيون مثل الدواء ، يجب تناوله حسب الأوقات الموصوفة وبمقدار صحيح .

وعـدد متزايد من الآباء مـن رأيهم أن اختيار البرامـج لايمكن أن يُترك كلية للطفل .

---

* ظهر تقرير غير مطمئن تماماً بعنوان «هؤلاء الأطفال المتعبون» فى مجلة التايم يقول : إن اختصاصيى العيون فى قاعدتين جويتين قد فوجئوا بمجموعة كبيرة من الأطفال ، سنوات ٣ إلى ١٢ ، يعانون من تعب مزمن ، وصداع ، وقلة نوم ، وقىء . ولم يعثروا على أسباب صحية لهذه الأعراض . وبعد بحث دائم مع الآباء تم اكتشاف إدمان هؤلاء الأطفال للتليفزيون : كانوا يشاهدون التليفزيون من ٣ إلى ست ساعات فى أيام الأسبوع ، ومن ست إلى تسع ساعات أيام السبت والأحد . وبحرمانهم من التليفزيون تماماً لفترة . زالت الأعراض . وعندما عادوا عادت .

فهم لا يرغبون فى أن يدعوا المجرمين وقطاع الطرق والسفاحين يؤثرون على أطفالهم فى حجرات معيشتهم الخاصة .

إن الآباء لهم الحق فى حماية أطفالهم من العرض اليومى لجرعات من الجنس الخسيس والعنف الصارخ . وبينما قد لايحتاج الأطفال إلى الحماية من كل مأساة يجب علينا أن نصونهم من التسلية التى فيها وحشية الإنسان لأخيه الإنسان كوصفة علاج .





الغــــيرة



التقليد المأساوى

الغيرة بين الإخوة لها تقاليدها وتاريخها المأساوى . والجريمة الأولى كانت قتل قابيل لأخيه هابيل . وكانت الغيرة هى الحافز . وكاد يعقوب يُقتل على يد أخيه العيص ، لولا أنه ترك البيت وهاجر مختبئاً خارج بلده . وكان أبناء يعقوب تملؤهم الغيرة من أخيهم الصغير ، يوسف ، حتى إنهم ألقوه فى الجب قبل أن يتحول الحكم بموته إلى حياة العبودية ببيعه إلى قافلة راحلة فى الصحراء .

ماذا تقول لنا الكتب السماوية عن طبيعة وأصل الغيرة ؟

فى كل من هذه الحالات ، كانت الغيرة يشعلها أحد الآباء الذى يبدى محاباة لأحد الأبناء . فقابيل ذبح أخاه بعد ما قيل له : إن الله قد تقبل قربان أخيه هابيل ، ولم يتقبل قربانه هو . والعيص أصبح غيوراً لأن أمه أبدت معاملة مفضّلة ليعقوب بمساعدته للحصول على بركات أبيه . ويوسف حسده إخوته لأن أباهم أحبه وفضّله عنهم ؛ وأعطاه «قميصاً متعدد الألوان» أخذ يتفاخر به .

إن الأطفال يحبّون سماع وقراءة حالات الغيرة والانتقام التاريخية . فالحافز يسحرهم ، والدوافع تخاطب قلوبهم . والشىء المثير للانتباه ، أن مواساتهم ليست دائماً مع الضحايا .

الحادث المبارك

إن الأطفال ، على نقيض آبائهم ، لايعترضون على وجود الغيرة فى الأسرة . إنهم عرفوا معناها وتأثيرها طويلاً . وبِغَضِّ النظر عن كل ما بذل من جهد فى تأهيلهم

وإعدادهم لذلك ، فإن وصول مولود جديد يجلب الغيرة والألم . فلا يوجد أى تفسير يفى لإعداد أى زوجة أن تقبل عن طيب خاطر أن تشاركها فى بيتها زوجة ثانية «ضرّة» ، أو مغنية الأوبرا الأولى فى أن تزاحمها وتشاركها فى الأضواء دخيلة جديدة ناشئة . إن الغيرة ، والحسد ، والمنافسة ستكون حتماً هناك . والإخفاق فى توقع ذلك ، أو الشعور بالجزع أو الذعر عند ظهورها ، ماهو إلاّ جهل يحيد عن الصواب .

إن قدوم المولود الثانى هو أزمة من الدرجة الأولى فى حياة الطفل الصغير . إن كيانه وفلكه ومدار فضائه قد تغير فجأة ، ويحتاج إلى بوصلة جديدة لتساعده فى توجيهه وإبحاره . ولكى نكون مساعدين ، لا مجرد عاطفيين ، فإننا نحتاج أن نعرف «نجمنا» وأحاسيسه الحقيقية .

وبإعلان الحادث المبارك للطفل الصغير ، فمن المفضَّل تجّنب التفسيرات المطوّلة والتوقعات والآمال المزيفة ، مثل :

ـ نحن نحبك جداً ، وأنت مدهش جداً لدرجة أنى أنا وأمك قررنا أن نحصل على طفل آخر مثلك تماماً . إنك ستحب الطفل الجديد . إنه سيكون ملكك أيضاً ، وستفتخر به . وسيكون لديك من تلعب معه دائماً .

إن هذا التفسير لايقع موقع النزاهة ، ولا الإقناع . إنه منطقى أكثر بالنسبة للطفل أن يستنتج :

ـ لو كانا يحباننى فعلاً ، لما تطلّعوا لطفل آخر . إننى لست محبوباً بما فيه الكفاية ، لذا أرادا أن يغيرانى بنموذج أحدث . «آخر موديل» .

إن المشاركة فى حب الأم لأمر مؤلم . وبخبرة الطفل ، المشاركة معناها الحصول على قدر أقل ، مثل المشاركة فى برتقالة أو قطعة حلوى .

إن وقع مشاركة الأم لمزعج للغاية ، وتوقعنا أن الطفل يجب أن يفرح له لهو بعيد عن منطقه . ومع مسيرة الحمل تبدو شكوكه أكثر شرعية . ويلاحظ أنه حتى بالرغم من

عدم وصول المولود بعد ، فلقد شغل الأم مسبقاً . وأمه أصبحت أكثر ابتعاداً عنه . فقد تكون متوعّكة فى السرير ، أو متعبة ومحتاجة إلى الراحة .

إنه حتى لايستطيع أن يجلس فى حجرها ؛ لأنه قد احتله دخيل مختبىء .

تقديم الدخيل:

يمكن الإعلان عن قدوم المولود بدون تهويل وجعجعة للطفل الصغير . يكفى ذكر:

ـ سيكون لدينا طفل جديد فى أسرتنا .

وبِغَضِّ النظر عن ردّ فعل الطفل الفورى ، سنعرف أن هناك أسئلة كثيرة فى ذهنه ، وقلقاً كثيراً غير متوقع فى قلبه . ولحسن الحظ ، أننا من وضعنا المتميز كآباء يمكننا مساعدة أطفالنا فى أن يمروا بهذه الأوقات العصيبة .

ولا شىء يمكن أن يغيّر حقيقة أن المولود الجديد ماهو إلاّ تهديد لأمن الطفل ، ومع ذلك ، فإن تعزيز شخصيته أو تغليفها بوطأة الأزمة وتوتّرها يعتمد على حكمتنا ومهارتنا . وفيما يلى مثال متطرّف لتقديم مدمر لمولود جديد :

عندما وُلد شادى . . . رفعنى أبى لمشاهدته ، وإلى اليوم ما زلت أذكر ذلك المولود ذا الوجه الأحمر بين ذراعى أمى وأسمع أبى يقول لى : والآن يجب عليك أن تكون أفضل مما أنت عليه ؛ لأننا لدينا طفل آخر جديد . ولم تعد الوحيد ، فمن الآن فصاعداً ستكون أنت وأخوك الرضيع ، وأعتقد أن حياتى كلها منذ ذلك الحين فصاعداً قد كرستها أن أفوق أخى بريقاً . . . وأجعل الحياة جحيماً بالنسبة له .

وعلى النقيض ، يصوّر المثال التالى تقديماً مفيداً لأخوّة المستقبل .

عندما اكتشفت نرفانا (خمس سنوات) أن أمها حامل ، استجابت لذلك بفرح عظيم . ورسمت صورة لشروق الشمس فوق الزهور عن الحياة مع أخ جديد . ولم تشجع الأم هذا الرأى ذا الشق الواحد عن الحياة . وبدلاً من ذلك قالت :

ـ أحياناً سيكون ظريفاً ، ولكن أحياناً سيكون مزعجاً ، وأحياناً سيصرخ ويصبح مقلقاً لراحتنا جميعاً . وسيبلل السرير ، ويوسّخ نفسه . وسأضطر أن أنظّفه ، وأغسله، وأطعمه ، وأعتنى به . وقد تشعرين بأنى تركتك أو أهملتك . وقد تشعرين بالغيرة . وقد تقولين لنفسك : إنها لم تعد تحبنى . . . إنها تحب المولود الجديد ، عندما تشعرين بهذا الشكل تعالى لى وأخبرينى ، وسأعطيك مزيداً من الحب ؛ ولذلك لاتقلقى . وستعرفين أننى أحبك .

سيتردد بعض الآباء فى استخدام مثل هذه الطريقة . فقد يخافون من وضع أفكار «خطيرة» فى رأس الطفل ، ليتأكد هؤلاء الآباء أن مثل هذه الأفكار ليست جديدة على الطفل . فقولنا لايمكن إلاّ أن يكون مفيداً : إنه يعكس تفهماً للمشاعر . إنه يعطى مناعة ضد الإثم ، ويدعو للمودة والتفاهم . إن الطفل مجبول أن يشعر بالغضب والاستياء بسبب المولود الجديد . فمن الأفضل أن يشعر بالحرية فى التَّعبير عن كربه لنا بصوت عالٍ ، بدلاً من أن يذبل ويهن فى صمت .

التعبير عن الغيرة : كلمات أم أعراض ؟

عندما يكظم الأطفال غيرتهم ، فإنها تخرج بطرق متنكّرة فى شكل أعراض وسوء سلوك . وهكذا ، عندما يغتاظ الطفل من أخيه ، ولكنه ممنوع من التعبير عن مشاعره، فقد يحلم أنه يدفع به من نافذة فى الطابق العاشر . وقد يصاب الحالم بالخوف حتى إنه قد يستيقظ صارخاً . وحتى إنه قد يركض إلى سرير أخيه ؛ ليتأكد من أنه لايزال حياً يرزق . وقد يفرح للعثور عليه قطعة واحدة . وقد يأخذ والده ارتياحه هذا على أنه حب .

والكابوس هو طريقة إخبارية فى صور لما يخاف أن يقوله فى كلمات . ومن الأفضل للأطفال أن يُعَبّروا عن غيرتهم وغضبهم فى كلمات عن التنفيس عنها فى كوابيس .

لقد أصيب عادل (خمس سنوات) بنوبات مفاجئة من ضيق النفس ، بعد مولد أخته مباشرة ، واعتقد والده أن هذا ناتج عن خوفه الشديد على أخته ، وأنه «يحبها

حتى الموت» (ربما حتى الموت كان الوصف المناسب) . لم يجد الطبيب أى سبب عضوى لأزمة تنفس عادل ، وحوّله إلى عيادة الصحة النفسية ، حيث يجب أن يتعلم التعبير عن الغيرة والغضب بالكلمات بدلاً من التعبير عنها بالصفير وحشرجة النَّفَس .

وبعض الأطفال يعبّرون عن غيرتهم بالسعال ، والطفح الجلدى ، وليس بالكلام . وآخرون يتبوّلون على أنفسهم ويبلّلون فراشهم ، وهكذا يعبّرون بعضو عما يجب أن يقدروا على التعبير عنه بعضو آخر . وبعض الأطفال يصبحون مدمّرين : فيكسرون الأطباق بدلاً من الإفصاح عن كراهيتهم . وبعض الأطفال يقضمون أظافرهم أو ينتفون شعرهم كتغطية لرغبتهم فى عض أو إيذاء إخوتهم وأخواتهم . كل هؤلاء الأطفال فى حاجة إلى التعبير عن مشاعرهم فى كلمات بدلاً من هذه الأعراض . والآباء هم فى المقام الرئيسى بالنسبة لمساعدة الأطفال فى فتح المغلق من مشاعرهم .

الأوجه العديدة للغيرة :

على الآباء أن يفترضوا وجود الغيرة فى أطفالهم ، حتى يكونوا فى جانب الأمان ، وحتى لو كانت الغيرة غير ظاهرة للعين المجرّدة . والغيرة لها وجوه عديدة وأقنعة كثيرة : يمكن أن تظهر نفسها فى الروح التنافسية الدائمة أو فى تجنب جميع أنواع الخلاف ، أو فى الشعبية والقبول المفرط عند الناس أو فى خنوع ووداعة نبات الحائط ، أو فى الكرم المتهور أو فى الجشع الذى لايرحم . والثمرات المرّة لمنافسات الطفولة التى لم تحسم تبدو كلها من حولنا فى حياة الكبار أنفسهم . يمكن رؤيتها فى المنافسة غير العاقلة للإنسان الذى فى سباق دائم مع كل سيارة فى الطريق ، أو للشخص الذى لايستطيع أن يخسر مباراة بنج بونج بشكل متسامح ، أو للذى هو مستعد دائماً أن يضحّى بحياته وما يملك من أجل إثبات وجهة نظره ، أو الذى يريد أن يبزّ الآخرين حتى لو كان هذا فوق طاقته . ويمكن رؤيتها أيضاً فى الإنسان الذى يجنب نفسه جميع المنافسات ، والذى يشعر بالهزيمة قبل بداية الصراع ، والذى هو دائماً مستعد لاحتلال المقعد الخلفى ، والذى لايقف حتى لحقوقه المشروعة .

وهكذا يؤثر تنافس الإخوة على حياة الطفل أكثر من توقعاتنا . وقد يختم شخصيته بختم لايمحى ويشوّه متانة خلقه .

أصول الغيرة :

تتأصل الغيرة فى رغبة الطفل فى أن يكون «المحبوب المدلل» الوحيد لأمه . إن هذه الرغبة تملّكية لدرجة أنها لاتسمح لأى منافسة . وعندما يصل الإخوة والأخوات ، يبدأ الطفل فى منافستهم على حقه فى حب والديه المقصور عليه فقط . وقد تكون المنافسة صريحة أو خفية ، حسب موقف الأبوين من الغيرة . بعض الآباء شديدو الغضب إزاء المنافسة الأخوية لدرجة أنهم يعاقبون أى علاقة صريحة لها . وبعض الآباء يتجنّبون إبداء أسباب للغيرة . ويحاولون إقناع أطفالهم أنهم جميعاً محبوبون بشكل متساوٍ ، ولذلك لا مدعاة لغيرتهم . ويقدّرون الهدايا ، والمديح ، والإجازات ، والامتيازات ، والملابس ، والطعام ويوزعونها على الجميع بالعدل والمساواة .

ومع ذلك ، فلا واحدة من هذه الطرق تخفف من وطأة الغيرة والحسد . ولا العقاب المتساوى ولا المديح المتعادل يمكن أن يطفىء الرغبة فى الحب الاستحواذى . وطالما أن مثل هذه الرغبات غير قابلة للتحقيق ، فلا يمكن منع الغيرة كلية . ومع ذلك ، سواء كانت نار الغيرة ستومض بالأمان أو ستتوهج بالخطر فسيعتمد ذلك على مواقفنا وأفعالنا .

مواقف تولّد الغيرة :

فى الظروف الطبيعية ، قد تسبب اختلافات العمر والجنس الغيرة بين الإخوة والأخوات . فالأخ الأكبر يُحْسَدُ ؛ لأن لديه مزيداً من الامتيازات ومزيداً من الاستقلال . والرضيع يُحْسَدَ ؛ لأنه أكثر رعاية ، والبنت تَحسُدَ أخاها ، لأن لديه عضو ذكر بارزاً وله حرية أكبر . والولد يَحْسُدُ أخته ؛ لأنها تحصل على معاملة خاصة .

وينمو الخطر عندما يعطى الآباء لاختلافات العمر والجنس تأكيداً مميزاً . عندما يفضّل عجز الرضيع على استقلال عمر الست سنوات ، أو العكس ، ستزداد الغيرة فى

حدتها . ويحدث نفس الشيء إذا قدرنا الطفل أزيد من قدره: بسبب جنسه ، أو شكله ، أو ذكائه ، أو قدراته الموسيقية ، أو مهاراته الاجتماعية . إن المواهب الطبيعية المتفوقة قد تسبب الحسد ، ولكنها المغالاة فى الثناء أو الإفراط فى المكافأة للمواهب أو السمات هى التى تؤدى إلى المنافسة القاسية بين الأطفال .

وليس من المطلوب معاملة الأطفال الكبار والصغار بنفس المعاملة على السواء . بل على العكس ، فالسن يجب أن يتسبب فى مزايا جديدة ومسئوليات جديدة . فالطفل الأكبر سيكون له ، بطبيعة الحال ، مصروف أكبر ، ساعات نوم متأخرة أكثر ، وحرية أكثر للبقاء خارج البيت عن الطفل الأصغر . إن هذه الامتيازات تمنح صراحةً وبشكل كَيِّس حكيم ، حتى يتطلّع جميع الأطفال إلى أن ينموا ويكبروا .

وقد يحسد الطفل الأصغر امتياز الطفل الأكبر . فيمكننا أن نساعده فى مشاعره ، لا بشرح الحقائق ، ولكن بتفّهم العواطف :

ـ تود أنت أيضاً أن تستطيع البقاء لساعة متأخرة .

ـ تود أن تكون أكبر .

ـ تود لو أنك لست فى سن ست سنوات ، بل تسع سنوات .

ـ أعرف ، ولكن موعد ذهابك للفراش هو الآن .

وقد يعزز الآباء الغيرة عن غير قصد بأن يطلبوا من أحد الأطفال أن يضحى من أجل طفل آخر :

ـ إن الرضيع يحتاج إلى مهدك . يمكنك أن تنام على الكنبة .

ـ آسفة . لن نستطيع إحضار الدراجة الجديدة لك هذه السنة . فنحن نحتاج إلى ثمنها لشراء ملابس الشتاء للرضيع .

إن الخطر يكمن فى أن الطفل قد لايشعر فقط بحرمانه من تملك الدراجة ، بل أيضاً من الحب والحنان ؛ ولذلك ، مثل هذه المطالب يجب أن تُغَلَّفَ بالحب ، وتوسد بالتقدير والإعجاب .

التعامل مع الغيرة :

ويعبّر الصغار جداً عن غيرتهم بشكل ليس فيه لباقة على الإطلاق : فيطلبون موت الرضيع ، ويقترحون إعادته إلى المستشفى أو وضعه فى محل القمامة . والصغار الأكثر خيالاًومغامرة قد ينغمسون حتى فى عمليات حربية ضد هذا الغازى . فقد يغيرون عليه بلا هوادة : ويحضنونه كما تحضن الأفعى الكبيرة فريستها . وقد يدفعونه أو يقرصونه ، أو يلكمونه كلما يحين لهم ذلك . وفى حالات متطرّفة يمكن للأخ أو الأخت الغيور أن يتسببا فى ضرر بالغ .

وبوصفنا آباء لايمكننا أن نسمح لطفل أن يستأسد على أخيه أو أخته . والهجمات السادية سواء البدنية أو الكلامية . يجب أن توقف ؛ لأنها تؤذى كلا من الفريسة والمستأسد . وكلا الطرفين فى حاجة لقوتنا ورعايتنا . ولحسن الحظ ، نحن لانحتاج لحماية الأمان البدنى للطفل الصغير أن نهاجم الأمان العاطفى للطفل الأكبر .

فعندما نمسك بطفل عمره ثلاث سنوات يتحرّش بالرضيع ، يجب أن نوقفه هو ودوافعه فى الحال ، ونذكر له بصراحة :

- إنك لاتحب الرضيع .
- إنك غاضب منه .
- بين لى كيف أنت غاضب . وسألاحظ غضبك .

ويجب أن نعطى الطفل دمية كبيرة ، ونسمح له بأن ينفس عن غضبه فيها . فيمكنه أن يلكم الدمية ، ويدس إصبعه فى عينها ، ويلقى بها على الأرض ويدوس عليها .

ونحن لانقترح للطفل ما يفعله .

إن دورنا هو أن نراقب بعين محايدة ونستجيب بلسان حنون : سوف لانصدم لضراوة مشاعره أو لقسوة هجماته . فالمشاعر أمينة ، والهجوم غير مؤذٍ . ومن الأفضل أن ينفِّس عن غضبه بشكل رمزى ضد شىء جماد ، بدلاً من أن يُنَفِّسَ عنه بشكل مباشر فى الرضيع نفسه أو بشكل عرضى ضد نفسه .

ويجب أن تكون تعليقاتنا مختصرة وسهلة .

ـ إنك تبين لى كم أنت غاضب !

ـ والآن ماما تعرف .

ـ عندما تشعر بالغضب تعال وأخبرنى .

إن هذه الطريقة أكثر فائدة فى إقلال الغيرة من العقاب أو الإهانة . وعلى النقيض ، فإن الطريقة التالية غير مجدية :

عندما اكتشفت الأم أن ابنها محموداً (أربع سنوات) . يسحب أخاه الرضيع من قدمه ، انفجرت فيه قائلة :

ـ ماهى حكايتك ؟ أتريد أن تقتله ؟ تريد أن تقتل أخاك الوحيد ؟ ألا تعرف أنك قد تسبب له عاهة مدى الحياة ؟ هل تريده مشلولاً ؟ كم مرة قلت لك : لا تأخذه من فراشه ، لاتلمسه ، ولاتقترب منه أبداً !

والأطفال الكبار ، أيضاً ، يجب أن نواجههم بمشاعر الغيرة فيهم . ويمكننا الحديث معهم بمزيد من الصراحة :

ـ من السهل أن نرى أنك لاتحب الرضيع .

ـ إنك تود لو أنه غير موجود .

ـ إنك تود لو كنت الوحيد .

ـ إنك تود لو كنت لك لوحدك .

ـ إنك تغضب عندما ترانى أهتم به .

ـ إنك تريدنى أن أكون معك .

ـ إنك كنت غاضباً فقرصته . لايمكننى أن أسمح لك أبداً أن تؤذيه ، ولكنك يمكنك أن تخبرنى عندما تريد .

ـ عندما تشعر أنك وحيد تماماً ، فسأكرس مزيداً من وقتى لك ، حتى لاتشعر بوحدة داخلية .

الحب ـ التماثل أو التفرّد ؟ النوعية أم المساواة ؟

إن هؤلاء الذين يريدون أن يكونوا منصفين غاية الإنصاف مع كل طفل غالباً ماينتهى بهم الحال أن يكونوا حانقين على كل الأطفال . فلا شىء أكثر إحباطاً من الإنصاف الذى بالقسط والقسطاس . عندما لاتستطيع الأم أن تعطى برتقالة أكثر أو حضناً أقوى لأحد الأطفال خشية إثارة عداوة الآخر ، فإن الحياة تصبح أمراً لايطاق . والجهد الذى يبذل فى قياس المنح العاطفية أو المادية يمكن أن تجعل أى شخص حانقاً متعباً . إن الأطفال لايتوقون أنصبة متساوية من الحب : إنهم يريدون منّا أن نحبّهم بشكل تفرّدى ، وليس بشكل تماثلى . إنما التأكيد على النوعية ، لا على المساواة .

إننا لانحب جميع أطفالنا بنفس الطريقة ، ولا مدعاة للتظاهر بذلك . إننا نحب كل طفل بشكل تفرّدى ، ونحن لسنا فى حاجة أن نبذل جهداً لتغطية ذلك . وكلما زاد احتراسنا فى منع التفرقة الظاهرة ، أصبح كل طفل أكثر تنبهاً فى اكتشاف شواهد عدم المساواة . وبدون قصد وبلا إرادة ، نجد أنفسنا فى موقف المُدافع ضد صرخة معركة الطفل العالية : «لا إنصاف» .

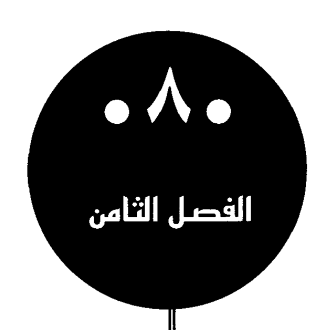
ولا داعى لأن تجرفنا دعايات الأطفال . ولا داعى أن ندّعى أيضاً ظروفاً مخفّفة ، ولا نعلن عن براءتنا ، ولا ندحض مسئوليتهم . دعنا نقاوم الإغراء فى شرح الموقف أو أن ندافع عن وضعنا ، ولا داعى إلى جدل لانهاية له عن الإنصاف أو عدمه فى قراراتنا . وفوق كل شىء لاتجعلنا نقحم أنفسنا فى تقسيم أو توزيع حبنا من أجل الإنصاف .

ودعنا نحمل لكل طفل علاقتنا الخاصّة والتفردية لا إنصافها وتماثلها .

وعندما نقضى بضع دقائق أو بضع ساعات مع أحد من أطفالنا ، فدعنا نكون معه

خاصة . ودع الطفل يشعر ، فى هذه الفترة ، أنه ابننا الوحيد ودع البنت تشعر أنها ابنتنا الوحيدة . وعندما نخرج مع أحد الأطفال ، فلا تدعنا ننشغل بالآخرين ؛ دعنا نتحدث عنهم أو نشترى لهم هدايا . وحتى تظل اللحظة للذكرى فيجب ألا نشتت انتباهنا .





بعض مصادر القلق عند الطفل



إن الآباء يدركون أن كل طفل له نصيبه من الخوف والقلق ، ولكنهم لايدركون ـ مع ذلك ـ مصادر مثل هذا القلق . وكثيراً ما يسأل الآباء :

ـ لماذا طفلي خائف هكذا ؟ إنه ليس لديه أى سبب لذلك .

ويذهب أحد الآباء بعيداً فى غلوائه ، ويقول لطفله القلق :

ـ امتنع عن هذا الكلام الفارغ . أنت تعلم أنك فى منتهى السعادة .

وقد يكون من المفيد وصف بعض مصادر القلق فى الأطفال مع تقديم بعض طرق مكافحته .

قلق يرجع للخوف من الهجر :

إن أعظم خوف للطفل هو عدم حب والديه وهجرهما له . وكما عبر عنه «جون شتاينبك» بشكل مثير فى روايته «شرق عدن» :

إنّ الفزع الأكبر الذى يمكن أن يصيب الطفل هو أن يكون غير محبوب ، والنّبذ هو الجحيم الذى يخافه . . ومع النّبذ يأتى الغضب ، ومع الغضب يأتى نوع من أنواع الجريمة كانتقام . . . :

فأحد الأطفال يرفض الحب الذى يتوق إليه ، ويركل القطة ، ويخفى الشعور بالإثم المكتوم ؛ وآخر يسرق حتى تجعله النقود محبوباً ؛ وثالث يقهر العالم . . . ودائماً الشعور بالإثم والانتقام ومزيد من الشعور بالإثم .

يجب ألا نهدّد الطفل بالهجر على الإطلاق . ويجب ألا نحذر الطفل سواء فى الهزل

أو فى الغضب أنّنا سنهجره وكثيراً ما يسمع المرء أمًّا ساخطة تصرخ فى الشارع أو فى أحد المحلات على طفلها المتباطىء :

ـ إذا لم تأت حالاً ، فسوف أتركك هنا .

إن مثل هذه العبارة ستوقظ الخوف الكامن من الهجر . إنها تُشعل لهب الخيال فى بقائه وحيداً فى الدنيا . عندما يتمادى الطفل فى تباطئه ، فمن الأفضل سحبه من يده ، لاتهديده بالكلمات .

وبعض الأطفال يشعرون بالخوف إذا كانت الأم غير موجودة بالبيت عند رجوعهم من المدرسة . فيستيقظ قلقهم الغافى من الهجر فى التو واللحظة . وكما اقترحنا من قبل، من المفيد فى هذه الحالة ترك رسالة عن مكان الأم فى دفتر أو تعلق فى جهة متّفق عليها أو تسجل على شريط تسجيل .

إن الرسالة المسجلة على شريط تسجيل مفيدة بصفة خاصة للأطفال الصغار . فصوت الآباء الهادىء وكلماتهم الحنون تساعدهم على الفراق الوقتى بدون مزيد من القلق .

وعندما تجبرنا ظروف الحياة على الانفصال عن أطفالنا الصغار ، فلابد من إعداد مسبق لهذا الانفصال . إن بعض الآباء يجدون صعوبة فى إبلاغ أطفالهم أنهم سيقومون بإجراء عملية ، أو إجازة ، أو واجب اجتماعى . وخوفاً من رد فعل طفلهم يتسللون فى الليل ، أو عندما يكون فى المدرسة ويخرجون تاركين أحد الأقارب أو المعارف لشرح الموقف .

كان على أم لتوءم (ثلاث سنوات) القيام بإجراء عملية جراحية . كان الجو فى البيت متوتراً ومضطرباً ، ولكنها لم تخبر التوءم بأى شىء . وفى صباح الذهاب إلى المستشفى ، خرجت الأم وفى يدها حقيبة التسوق العادية ، وتظاهرت بأنها ستذهب إلى السوبرماركت . وتركت المنزل ، ولم تعد لمدة ثلاثة أسابيع .

وبدا على التوءم الذبول والإعياء فى هذه الفترة .

ولم تلق تفسيرات الأب أية مواساة أو سلوى . وكانا يبكيان كل ليلة عند نومهما . ويقضيان أثناء النهار ، مزيداً من الوقت عند النافذة ، ينتظران أمهما .

إن الأطفال يتحمّلون وطأة الفراق بمزيد من السهولة إذا تم إعدادهم نفسياً لهذه التجربة من قبل . والإعداد المقبول يتطلّب ماهو أكثر من الشرح الشفهى العادى . إنه يتطلب التفاهم بلغة مخاطبة الطفل لغة اللّهو واللّعب .

قالت الأم لنبيلة (ثلاث سنوات) ، قبل دخولها المستشفى بأسبوعين ، عن هذا الحدث الوشيك . ولم يظهر على نبيلة اهتمام كبير ، ولكن الأم لم تنخدع بقلة الفضول هذا ، وقالت :

ـ دعينا نلعب لعبة ماما تذهب للمستشفى ؛ وأحضرت بعض اللُّعب (قامت بشرائها لهذه المناسبة) التى تصور أفراد الأسرة ، والطبيب والممرضة . وأثناء تحريك اللُّعب والتحدث بلسانها ، قالت الأم :

ـ «مامى» تذهب للمستشفى لتطمئن على صحتها . «مامى» لن تكون فى البيت . نبيلة تسأل ، أين «مامى» ؟ أين «مامى» ؟ ولكن «مامى» ليست فى البيت . إنها ليست فى المطبخ ، ولا فى حجرة النوم ، ولا فى حجرة المعيشة . «مامى» فى المستشفى ؛ لترى الطبيب ، وتطمئن على صحتها .

تصرخ نبيلة ، أريد «مامى» . أريد «مامى» . ولكن «مامى» فى المستشفى من أجل صحتها . «مامى» تحب نبيلة ، وتفتقدها . إنها تفتقدها كل يوم . إنها تفكّر فى نبيلة وتحبها . نبيلة تفتقد « مامى» ، أيضاً . ثم تأتى «مامى» للبيت وتفرح نبيلة .

لقد لعبت الأم وابنتها تمثيلية الفراق والعودة عدة مرات . وفى البداية كانت الأم هى التى تقوم بمعظم الحديث ، ولكن شاركتها نبيلة فى الحال . وأخذت تحرك اللُّعب المناسبة وتقول للطبيب : اهتم «بمامى» وتقول للممرضة : اعتنى بها ، وتطلب منهما إعادتها للبيت فى أقرب وقت .

وقبل الفراق طلبت الأم من نبيلة أن تكرر اللعبة مرة أخرى . أدّت نبيلة معظم الأدوار وأنهت تمثيليتها قائلة فى تأكيد :

ـ لا تقلقى يا «مامى» . سأكون فى انتظارك عندما تعودين .

وقبل أن تترك البيت ، قامت الأم ببعض الترتيبات الأخرى المفيدة . فوضعت صورة كبيرة لها مع نبيلة فى مواجهة سريرها ، وتركت رسالة ظريفة على شريط التسجيل . وأثناء لحظات الوحدة الحتمية كانت صورة الأم وكلماتها المسجلة تؤكد لنبيلة حب الأم واقترابها منها .

قلق يرجع إلى الشعور بالذنب :

يثير الآباء ، متعمدين وغير متعمدين ، الشعور بالذنب فى الأطفال . إن الشعور بالذنب مثل الملح ، مادة مفيدة فى إعطاء نكهة للحياة ، ولكن لايجب مطلقاً أن تصبح الطعام الرئيسى . عندما ينتهك الطفل أو يخالف أحد الأمور الاجتماعية أو السلوك الأخلاقى ، يأتى الشعور بالذنب والاستهجان . ومع ذلك ، عندما نمنع الطفل من المشاعر السلبية أو الأفكار «الشريرة» فحتماً سيشعر بكثير من الذنب والقلق .

ولمنع الشعور بالذنب غير الضرورى ، يجب على الآباء التعامل مع انتهاكات الأطفال بطريقة الميكانيكى الكيِّس مع أعطال السيارة . إنه لايلوم المالك ، إنه يشير إلى ما يجب أن يتم إصلاحه إنه لايلوم الأصوات التى تصدرها السيارة من خشخشة وجلجلة؟ إنه يستخدمها للأغراض التشخيصية . ويسأل نفسه :

ـ ما هو المصدر المحتمل للمشكلة ؟

إنه لمن المريح للأطفال أن يعلموا داخلياً أنهم أحرار فعلاً فى التفكير كما يحلو لهم بدون أن يتعرضوا لخطر فقدان حب ورضا آبائهم . إن التعبيرات التالية قد تكون مفيدة :

ـ أنت تشعر بطريقة ، ولكنى أشعر بطريقة أخرى . إننا نشعر بشكل مختلف تجاه الموضوع .

ـ إن رأيك يبدو صادقاً لى . ومع ذلك فرأيى مختلف . إننى أحترم وجهة نظرك ، ولكن لدى وجهة نظر أخرى .

وقد يخلق الآباء ، دون أن يدروا ، الشعور بالذنب فى الأطفال بسبب الإكثار من الكلام وإعطاء تفسيرات غير ضرورية . وهذا ما يحدث كثيراً مع الآباء «الجدد» ، الذين يؤمنون بعدم الاعتراض والقبول بينهم وبين أطفالهم حتى لو كان الموضوع شائكاً أو لم ينضج بعد .

أسامة (خمس سنوات) كان حانقاً على مدرِّسته التى فى مدرسة الحضانة ؛ لأنها كانت متوعكة لمدة أسبوعين . وفى يوم عودتها ، وكان يوماً بارداً ، خطف الوشاح الذى كان حول رقبتها ، وركض به فى الساحة . فتبعته أمه والمدِّرسة .

فقالت المدرسة :

ـ إنه وشاحى . أعطه لى .

وقالت الأم :

ـ أسامة : أنت تعرف جيداً أنّه ليس وشاحك .

إذا احتفظت بالوشاح فقد تصاب مدرستك منيرة بالبرد وتمرض ثانية . إنها كانت مريضة لمدة أسبوعين ، وأنت تعرف ذلك . أليس كذلك يا أستاذة منيرة ؟ والآن ، يا أسامة ، أنت لاتريد لمدرِّستك أن تمرض ثانية ، أليس كذلك ؟

الخطر فى مثل هذا الشرح أنه **قد يجعل** أسامة يشعر بالمسئولية وبالذنب إزاء مرض المدرِّسة . إن الشرح المطوّل **لم يكن له علاقة** بالموضوع ، بل وضار . كل ما كان ضرورياً فى تلك اللحظة هو إعادة الوشاح . وشاح فى اليد خير من عشرة تفسيرات فى الساحة .

ربما كانت المدرِّسة ستناقش مع أسامة حنقه على غيابها ، وتشير إلى طرق أفضل فى التغلب عليه .

قلق يرجع إلى إنكار الحالة الشخصية والاستقلال الذاتى :

عندما نمنع الطفل من الانخراط فى الأنشطة وتحمل المسئوليات التى هو مستعد لها ، فسيكون رد فعله الداخلى هو الاستياء والغضب . والغضب ـ بدوره ـ قد يؤدى إلى

خيالات الانتقام ، التى تجلب إما الشعور بالذنب أو الخوف من الانتقام . والنتيجة فى كلتا الحالتين هى القلق .

إن الأطفال الصغار لايسيطرون على المهارات ببراعة مصقولة . إنهم يحتاجون إلى وقت طويل لعقد رباط أحذيتهم ، أو ليزرروا ستراتهم ، أو لتثبيت غطاء زجاجة ، أو للتعامل مع مقابض الأبواب . وأفضل مساعدة يمكن تقديمها لهم هى الانتظار المتسامح مع تعليق خفيف عن صعوبة المهمة :

ـ إنه ليس من السهل ارتداء هذا الحذاء .

ـ غطاء هذه الزجاجة من الصعب فتحه .

مثل هذه التعليقات هى عوامل مساعدة للطفل سواء فشل أو نجح فى مجهوداته . فإذا نجح ، فلديه الرضا لمعرفته بأنه أنجز عملاً صعباً . وإذا فشل ، فلديه السلوى بأن أبويه يعرفان أن المهمة كانت صعبة . وفى كلتا الحالتين يخوض الطفل تجربة المواساة والمساندة ، التى تقوده إلى مودة أكبر بينه وبين والديه . ولايعتبر الطفل نفسه غير كفء لأنه لم ينجح فى المهمة .

إنه لشىء جوهرى ألاّ يتحكّم الكبار فى حياة الطفل لتطلّعهم للكفاءة . فالكفاءة هى عدو الطفولة . إنها مكلّفة جداً بلُغة اقتصاد الطفل العاطفى ؛ إنها تصفّى موارد الطفل ، وتمنع نموّه ، وتخنق الاهتمامات ، وقد تؤدى إلى إفلاس عاطفى .

قلق يرجع إلى خلاف بين الآباء :

عندما يتشاجر الآباء ، يشعر الأطفال بالقلق والذنب : بالقلق لأن بيتهم مهدّد ، وبالذنب بسبب دورهم الفعلى أو الخيالى فى الخلاف الأسرى . وبشكل يمكن تبريره أو لايمكن تبريره ، يفترض الأطفال أنهم سبب النزاع المنزلى .

والأطفال لايظلّون محايدين فى الحرب الأهلية بين دول العقل . فهم ينحازون للأب أو للأم . والعواقب مضرَّة لكل من نموهم النفسى والشخصى . عندما ينبذ الولد أباه

أو البنت أمها ، يظل الأطفال بدون نموذج سليم لتحقيق الشخصية . والنّبذ يعبّر عنه بالبغض الشديد للتماثل مع السمات الشخصية ، والقيم التنافسية ومحاكاة السلوك . وفى الحالات المتطرفة قد ينتج عن مثل هذا النّبذ ارتباك فى تحقيق الشخصية الجنسية ، وعدم المقدرة على معايشة قدر الإنسان البيولوجى .

فعندما ينبذ الولد أمه أو البنت أباها ، فقد ينمو الطفل مرتاباً ومعادياً لكل أشخاص الجنس الآخر .

وعندما يضطر الآباء إلى المنافسة من أجل حب أطفالهم ، فكثيراً ما يستخدمون وسائل غير تربوية ، مثل الرشوة ، والتملّق ، والكذب . وينمو الأطفال مع ولاءات منقسمة وتكافؤ ضدى ثابت ، علاوة على أن الحاجة لحماية أحد الأبوين من الآخر ، والفرصة للعب دور أحد الأبوين ضد الآخر ، تترك علامة دائمة فى شخصية الأطفال . ومن طفولتهم المبكرة ، يصبحون مدركين لقيمتهم المبالغ فيها ، للمزايدات التنافسية بين الأبوين ، ويضعون ثمناً لأنفسهم دائم الزيادة ، ويتعلمون المزايدة والاستغلال ، والدسائس والابتزاز ، والتجسس ، ومناقلة القيل والقال . إنهم يتعلمون كيف يعيشون فى عالم الاستقامة فيه مسئولية ، والأمانة فيه عقبة ، عالم يشجع ويكافىء السلوك السيكوباتى المضطرب عقلياً .

قلق يرجع إلى التدخل فى النشاط الجسمانى :

فى كثير من البيوت الحديثة ، يصاب الأطفال بالإحباط لضيق المكان من أجل النشاط الحركى . وينتج عن ضيق الشقق المكدسة بالأثاث المكلّف المنع التام للتسلق والجرى والقفز . وعادة ماتبدأ القيود فى وقت مبكر جداً من حياة الطفل . فلا يسمح للطفل الصغير أن يقف فى عربته ، ولا للطفل الذى يتعلم المشى أن يتسلق السلّم ، ولا للذى يحبو أن يلف ويدور حول حجرة المعيشة .

وهكذا يصبح الأطفال فى حالة إحباط يختزنون التوتر ، ويخلقون القلق ، والحل يظهر من وصف المشكلة . إن الأطفال الصغار فى حاجة لإطلاق سراح توترهم

بالنشاط الجسمانى . إنهم يحتاجون إلى مكان يركضون فيه وأدوات كافية للعب . كما يحتاجون إلى حجرة أو ساحة تسمح لنشاط لازم ضمن الأمان النفسى .

قلق يرجع إلى حالات الوفاة :

إن مأساة الموت بالنسبة للكبار تقع فى تعذّر إلغائه . فالموت هو النهاية الحتمية لكل الآمال . ولذلك فالموت لايمكن تصوره شخصياً ؛ لا أحد يمكن أن يتخيل نهايته وفناء ذاته . والذات تتكون من ذكريات وآمال ، ومن ماض ومستقبل ، والشخص لايمكن أن يرى نفسه بدون مستقبل . والعزاء الذى يبعث به الإيمان فى هذه الدنيا فى غاية الإحكام ، فهو يقدّم للإنسان المستقبل ، فيحيا ويموت فى سلام .

وإذا كان الموت لغزاً للكبار ، فهو أحجبة مغطاة بغلالة من الغموض . ولايستطيع الطفل الصغير أن يفهم أن الموت أمر دائم لا رجعة فيه ؛ وأن والديه ودعواته لايمكن أن تعيد الراحلين . وعبث تمنيات الطفل السحرية فى مواجهة الموت، فهو ضربة قاسية له . يهز إيمانه بقدرته على تشكيل الأحداث بتمنياته ، ويجعله يشعر بالضعف والقلق . إن الذى يراه الطفل أنه بالرغم من دموعه واحتجاجاته فلن يظل الشخص الذى يحبه أو حتى الحيوان الأليف الذى اعتاد عليه بجواره . وبالتالى يشعر بالهجر وأنه ليس محبوباً . وينعكس خوفه فى السؤال الذى غالباً ما يسأله لأمه أو أبيه :

- وبعد الموت ، هل ستظل تحبّنى ؟

ويحاول بعض الآباء أن يحموا طفلهم من خوض تجربة الألم والحزن والحيرة الملازمة لفقدان شخص يحبه . فإذا ماتت السمكة الذهبية أو السلحفاة ، فيسرعون بإحلال واحدة جديدة محلها ، آملين أن الطفل لن يلاحظ الفرق . وإذا ماتت قطته أو كلبه ، يندفعون لتقديم بديل أجمل وأفضل للطفل الحزين .

ماهى الدروس التى استفادها الطفل من هذه الخبرات المبكرة للخسارة المفاجئة وللعوض السريع ؟ قد يستنتج أن فقدان من نحبهم ليس له أهمية كبيرة ؛ وأن الحب قد ينتقل بسهولة ، والولاء يتحول بيسر .

ويجب ألا يُحْرَمَ الطفل من حقه فى الحزن والندب . يجب أن يكون حراً فى أن يشعر بالأسف لخسارة شخص يحبه . فتتعمق إنسانية الطفل ، وتسمو شخصيته ، عندما يستطيع أن ينوح ويتفجع على نهاية حياة من يحب .

إن المقدمة المنطقية الأولى هى أن الأطفال يجب عدم استثنائهم من المشاركة فى الأحزان مثل المشاركة فى الأفراح التى تنشأ حتماً فى مجال حياة الأسرة . وعندما تحدث وفاة ولانخبر الطفل بها حدث فقد يظل فى غشاوة قلق مجهول الهوية . أو قد يملأ الفجوة التى فى معرفته بتفسيرات من عنده مشوشة ومفزعة ، وقد يلوم نفسه لهذا الفراق، ويشعر بالانفصال لا عن الميت فقط ، ولكن عن الأحياء أيضاً .

والخطوة الأولى فى مساعدة الأطفال لمواجهة خسارتهم هى السماح لهم بالتعبير عن مخاوفهم ، وخيالاتهم ومشاعرهم . إن الراحة والسلوى تأتى من مشاركة العواطف العميقة مع منصت مهتم . ويجوز للآباء أيضاً أن يعبّروا بالكلمات عن المشاعر التى لدى الطفل ، فلعلّه يجد صعوبة فى التعبير . فمثلاً ، بعد موت الجدّة التى كان الطفل مرتبطاً بها ، يستطيع الأبوان القول :

- إنك افتقدت جدتك .
- افتقدتها كثيراً .
- وهى كانت تحبك .
- إنك تتمنى لو كانت معنا .
- إنك تتمنى لو كانت لاتزال حية .
- من الصعب أن تصدق أنها ماتت .
- من الصعب أن تصدق أنها لم تعد معنا .
- إنك تتذكرها جيداً .

إن مثل هذه الأقوال تنقل للطفل اهتمام أبويه بمشاعره وأفكاره ، وتشجعه على أن

يشارك بمخاوفه وخيالاته . ولعله يريد أن يعرف إذا كان الموت مؤلماً ، وإذا كان الميت يعود مرة ثانية ، وإذا كان والداه سيموتان أيضاً . ويجب أن تكون الإجابات موجزة وحقيقية : عندما يموت الإنسان فالبدن لايشعر بأى ألم على الإطلاق ؛ والذى يموت لايعود مرة ثانية أبداً إلى الدنيا ومن الطبيعى أن يموت الإنسان عندما يكبر فى السن .

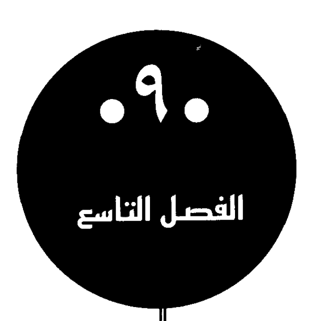
وفى التحدث للأطفال عن الموت ، فمن الأفضل تجنب تلطيف الكلام . فعندما قيل إن الجد قد ذهب لنومته الخالدة ، سألت بنت (أربع سنوات) إذا كان قد أخذ بيجامته معه . وكانت خائفة أيضاً أن يكون جدها حانقاً عليها ؛ لأنها لم تقل له «تصبح على خير» قبل أن يذهب لينام .

وعندما قالوا :

ـ إن جدتك ذهبت إلى الجنة وأصبحت ملاكاً .

دعا ولد (خمس سنوات) بموت بقية الأسرة ؛ ليصبحوا ملائكة أيضاً .

وعندما نعطى الطفل الحقائق ببساطة وبأمانة ، مصحوبة بحضن حنون أو قبلة ريانة مع نظرة محبة ، فإنه يشعر بعودة الاطمئنان والأمان . إن هذه الطريقة لها تأثيرها عندما يتقبل الآباء أنفسهم حقائق الحياة والموت . وفى كل الموضوعات الهامة ، تتحدث المواقف بصوت أعلى من الكلمات .



دور الجنس والوظيفة الاجتماعية

التماثل والمصير البيولوجى :

لابد أن يتماثل الصبيان بآبائهم والبنات بأمهاتهن ؛ لتحقيق مصيرهم البيولوجى . والتماثل عملية حاسمة ، وبها يصبح الصبيان رجالاً والبنات نساءً . ويتيسر التماثل ويسهل عندما تبنى العلاقات مع الأطفال على الاحترام والحب . ويكسب ود الأطفال وحبهم ، فنحن نكسب أيضاً رغبتهم فى محاكاة أدوارنا الجنسية الخاصة . ولكن الآباء أنفسهم ليسوا على بينة تامة بما تستلزمه أدوارهم .

نماذج الأمومة والأبوة :

فى كثير من المجتمعات نجد أن وظيفة الأم محددة بوضوح أكثر عن وظيفة الأب . فالأمومة معناها الحضانة بكل معانيها من رضاعة ، وعناية بأمر الطفل ، وحبه ، واللّعب معه ، والابتسام له ، ومناجاته ، وتدليله . والحاجة إلى رعاية الأمومة مطلب بيولوجى . ونقص الأمومة يعد خطراً على صحة الطفل العقلية ، ويهدد حياته نفسها . وأما الأبوة ، فعلى نقيض ذلك ، تستلزم طبيعة أقل وثقافة أكثر . ولو تحدثنا من وجهة النظر البيولوجية ، فإسهام الأب يبدأ وينتهى قبل مولد الطفل . وجميع نشاطات الأبوة الأخرى يحددها المجتمع . وهكذا ، نجد فى بعض المجتمعات ، أن الآباء يهتمون فقط بالأبناء . فى حين أنهم قد لايعترفون بالبنات . وفى مجتمعات أخرى يحتفظ الأب بدور المدرّس المتسامح ، فى حين أن تربية الطفل متروكة كلها للأم . وفى مجتمعات أخرى ، يحكم الأب أطفاله مثل الملك المطلق .

وفى المجتمع الأمريكى ، الرئيس الشرفى للأسرة هو الأب ، أمّا دوره ووضعه فهو مبهم غالباً ، وغير محدد تحديداً واضحاً . وتؤكد بعض الدراسات أن الأب الأمريكى

هو العائل الغائب ؛ ففى الصباح يندفع فى عجلة من أمره ، ويختفى طول اليوم ، ويعود ليلاً مرهقاً متعباً . وفى نهايات الأسبوع ، إذا لم يكن يلعب الجولف ، فهو يشاهد التليفزيون أو يجز خضرة حديقة البيت . والأطفال ليس لديهم فرصة كبيرة فى مشاركة آبائهم فى نشاطات ومحادثات ذات معنى أو هدف .

ونتيجة لذلك ، فالأم هى الشخصية المهيمنة فى الأسرة ، وهى الوحيدة تقريباً التى تفرض النظام أو الانضباط . ويعرض مثل هذا الوضع دور الأم القديم للخطر . ففى الأزمان السالفة ، كانت الأم تمثل الحب والحنان ، فى حين أن الأب يجسد الانضباط والمبادىء الأخلاقية وقواعد السلوك الخاصة . والأطفال ـ خصوصاً الأولاد ـ يستمدون التزامهم وضمائرهم منه بشكل رئيسى . لقد كانت الصورة التى يضفى عليها الأب صفته الذاتية ، وتصبح كمبدأ هادياً ، فتحذرهم من المغريات ، وتؤنبهم على التعديات وهكذا ، فهذا الأب يخدم كحلقة وصل بين الأسرة والعالم الخارجى .

وفى الأسرة الحديثة ، لم يعد دور كل من الأم والأب متميزاً : فكثير من النساء يعملن خارج البيت فى «عالم الرجال» ، وكثير من الرجال يجدون أنفسهم متورّطين فى نشاطات الأمومة ، مثل الرضاعة وتغيير ملابس الأطفال واستحمامه .

وبالرغم من أن بعض الرجال يرحبون بهذه الفرص الجديدة من أجل مزيد من الترابط مع أطفالهم ، فهناك الخطر الذى قد ينتهى إليه الطفل الرضيع بحصوله على أُمَّين ، بدلاً من أم وأب .

دور الأب :

يحتاج الطفل إلى أب يقبل دوره . إن الرجولة لايمكن اكتسابها من دورة دراسية . بل يمكن تعلّمها فى دورة الحياة اليومية من أب يخدم كنموذج يحتذى به . ويقول «فرويد» : «ليس هناك حاجة فى الطفولة أقوى من الحاجة لحماية الأب » . والطفل يحتاج من طفولته المبكرة ، أن يعى أن له أباً يمكنه أن يحميه من الخطر .

وهناك ثلاثة أخطار ـ بصفة خاصة ـ تتطلب تواجد إرشاد الأب . يحتاج الطفل إلى

الحماية ضد تهديدات العالم الخارجى ، وضد المخاوف من العالم الداخلى ، وضد حماية الأم الزائدة ، إن العالم الخارجى يُعَدُّ مكاناً خطراً على الطفل الصغير . وببساطة لكى يبقى على قيد الحياة ، يحتاج إلى حماية ضد مخاطر الأدوات والأجهزة الحديثة فى المنزل ، وضد المشاكل التى قد تنشأ خارج المنزل . فعليه أن يتعلم ، بين أمور أخرى كثيرة ، عبور الشارع بدون أن تصدمه سيارة ، واستخدام الأجهزة الكهربائية بدون أن يصعق كهربائياً .

ويحتاج الطفل أيضاً إلى مساعدة الأب فى التعامل مع رغباته الغاضبة وخيالاته المخيفة ، وكل صبى صغير يريد أمه له وحده . ولايتسامح مع أى منافس ، يجعله يتخلص من أبيه وإخوته وأخواته فى الخيالات والأحلام . وربما تتحول الخيالات إلى عالم عنيف متقد والأحلام إلى كوابيس . وطالما أن الطفل لايقدر بعد على فصل الرغبات عن الأفعال ، فإنه يصبح خائفاً بشكل يائس . وليس أمامه طريق يعرف منه أن أفكاره لن تصبح واقعاً . وهنا يكون دور الأب ذا شقّين . معاينة إحباط الطفل ، وغضبه ، وخوفه ، بكل عطف وتودد ، وفى نفس الوقت ، ينقل ، بقوة صامتة ، رسالة الطمأنينة : «لا تقلق يا بُنى ، فلن أدعك تنفّذ رغباتك المخيفة » .

وبعض الآباء لايدركون الحاجة إلى حماية الطفل من خيالاته المدمرة . وفى بعض البيوت ، يمكن غزو حجرة نوم الوالدين من قِبَلِ الأطفال فى أى وقت من النهار أو الليل . وفى بيوت أخرى ، يسىء الأطفال للأم فى حضور أب متساهل أكثر من اللازم. إن مثل هذه الأمور ، من الأفضل ، عدم التسامح فيها . فهى لا تجلب إلا القلق للطفل والمعاناة للوالدين .

وكما أن الأب يجب أن يحمى الأم من طفل مسىء ، فهو يجب عليه أيضاً أن يحمى الطفل من الأم المفرطة فى حمايتها وعنايتها . ولكن بعض الأمهات يستمتعن بتدليل أطفالهن حتى بعد أن يفوتوا هذا السن . إن من مهام الأب أن يزّود الطفل بحب يتضمن أكثر من مجرد الحماية ، يتضمن التحرير والعتق أيضاً . وبينما حب الأم يُشعر الطفل بأنه محبوب ، فثقة الأب وجرأته تقول للطفل أنه كفء مقتدر . وبسبب تربيتهم

الأقل كَبْتاً . فمن الأسهل على الآباء أكثر من الأمهات أن يسمحوا للأطفال بأن يقوموا بتجربة الاستقلال . وتشجع رغبة الأب فى مشاهدة مغامرات ومجازفات الطفل الجديدة والموافقة عليها على نمو الطفل بدون شعور بالذنب .

ويستطيع أن ينقل الثقة والجرأة للطفل فى أى وقت وفى أماكن كثيرة . وإبرازها لايتطلب بالضرورة مهارات خاصة فى الرياضة أو فى ممارسة الهوايات . إنها تحتاج فقط إلى القدرة على الإحساس بحاجات الأطفال والرغبة فى العمل كمرشد حازم ودليل مشجع ودود .

معايير للصبيان وللبنات .

إن كلاً من الصبيان والبنات يحتاجون إلى مساعدة فى تقدمهم نحو مصائرهم البيولوجية المختلفة ، ويستطيع الآباء مساعدتهم بعدم طلب نفس معيار السلوك من كلا الجنسين فيسمحون للصبيان بمزيد من الصخب بسبب طاقتهم الأكبر ، ولأن المجتمع يتطلب منهم أن يكونوا أكثر صلابة .

ويجب على الأمهات والمدرسات أن يُحجمن عن تشجيع السلوك الأنثوى فى الصبيان. ويجب على الصبيان ألا يحملوا أسماء أنثوية ، أو يرتدوا ملابس ملتصقة ضيقة ، أو يطولوا ضفائر شعرهم كالبنات . ، ويجب ألا نتوقع منهم أن يكونوا سلسين لينى العريكة مثل البنات ، أو يكون لهم سلوك شبيه بسلوك البنات . والقول الفصل هو «الصبيان سيكونون صبياناً» ، وهذا يتطلب التفاوت المسموح لتفريغ الطاقة التى فى النشاطات المذكّرة العنيفة .

ويجب على الآباء ألا يتخذوا عناية خاصة لتأنيث الابن لخيبة أملهم فى عدم الحصول على ابنة . وقد يبدو الصبى الحلو ذو الشعر المقصوص جميل المحيا للأقارب ، ولكنه بالتأكيد سيكون جباناً مخنثاً مع أقرانه . . . إن كان له أى أقران . وتعتبر هذه وصمة عار تَنخُر فى شخصيته . وتتلف صورة الطفل عن نفسه وشخصيته مع زملائه .

والبنات ، أيضاً ، يجب ألا يقمن بدور الجنس الآخر بسبب اشتياق الوالدين الذى

لم يتحقق لطفل من الجنس الآخر . وبالرغم من أن البنت تخسر هيبة أقل فى كونها صخّابة تحب اللعب كالصبيان من الصبى المخنث ، فإنه من المهم مساعدتها فى الحصول على متعة الأنوثة وفخارها .

وتحتاج البنات أن نقدرهن ونستمتع بهن لكونهن بنات. وأفضل من ينقل هذه المشاعر هى الأم التى تحب كونها سيدة . ومع ذلك ، يجب على كلا الأبوين أن يكونا واعيين تماماً للحاجة فى غرس ذكورة أو أنوثة أطفالهما . فمن الملائم للأب أن يطرى ابنته على منظرها ، وردائها ، وأنوثتها ، وليس من الملائم له أن يشغلها فى الملاكمة الوهمية ، واللعب الخشن ، خشية أن تستنتج أن أباها سيحبها أكثر لو كانت صبياً .

وتوفر حياة الأسرة فرصة متسعة لتعليم الأطفال الحقيقة الأساسية فى أن الرجال والسيدات فى دوريهما المختلفين يحتاج بعضهم إلى بعض ، ويحتاجون إلى عناية ورعاية بعضهم البعض .

التربية الرجالية والتربية النسوية :

تبدأ التربية بشقيها الذكرى والأنثوى مبكراً فى الحياة . ومع ذلك ، فيجب ألا نجبر الأطفال على القيام بدور الجنس المناسب فى وقت مبكراً جداً . فخلال فترة ماقبل المدرسة ، يجب على كل من الصبيان والبنات أن يلعبوا بالعرايس والدمى ، ويشغلوا أنفسهم بنشاطات «الأمومة» . وهذا أمر طبيعى ، بالرغم من أن بعض الآباء والأمهات يبدون فزعين عند رؤية صبى عمره خمس سنوات يطعم دمية .

لذا يجب السماح لصبيان وبنات فترة ماقبل المدرسة باستخدام نفس الدمى والألعاب إذا كانت هذه رغبتهم . ففى هذه السن لا مدعاة لوضع حد صارم بين لعب الصبيان والبنات فيجب على الآباء ألا يجعلوا من أولادهم الصبيان الذين فى عمر أربع أو خمس سنوات أبطالاً فى الملاكمة ، وهم قد يفضّلون اللعب بدمية ، فلابد لأطفال فترة ماقبل المدرسة من كلا الجنسين أن يستطيعوا اللعب بكل من الألعاب الأنثوية والذكرية بدون خوف من الاعتراض .

وخلال السنوات الدراسية يبدأ التأكيد على الاختلافات الجنسية ، فتتوقع أن تنمو فى الصبيان والبنات اهتمامات وتطلعات مختلفة : فيحتاج الصبيان إلى تحقيق تميز فى النشاطات المذكَّرة والبنات فى النشاطات الأنثوية . ويتم تعزيز التماثل الجنسى عن طريق توفير الاهتمامات والنشاطات المختلفة ثقافياً كذكرية وأنثوية .

وتعتبر سنوات المدرسة فترة طيبة لتعميق علاقة الابن بأبيه والبنت بأمها . وهذا هو الوقت المناسب لتعريف البنات بفنون الطبخ والفنون المنزلية الأخرى . فتستطيع الفتيات الطبخ وإعداد بعض الوجبات البسيطة مع الخياطة وأشغال الإبرة وأعمال المنزل على أن يكون التأكيد على المتعة والسعادة فى التدبير المنزلى . وهذه هى الساعة الذهبية للأم فى أن تنقل لابنتها الرضا بكونها امرأة ، وزوجة ، وأمًّا .

وعلى الأب ، أيضاً ، أن يرحب باستعداد ابنه للارتباط به ، ورغبته فى المشى ، والحديث ، وطريقة ارتداء الملابس مثله . ويجب عدم السخرية من هذه المحاكاة . . . بل يجب تشجيعها . وقد يؤدى تقليد اللغة والسلوك إلى محاكاة الاهتمامات والقيم . وفى اتصالهما الحميم يضرب الأب لابنه الأمثال فى معنى أن يكون رجلاً فى الأسرة وكذلك فى المجتمع . ويستمد الأطفال كثيراً من الفخر بمراقبتهم لمهارات الأب ، وجهوده ، وعطاءاته فى مواقفه خارج البيت . وقضاء بعض الوقت مع الأب فى مكان عمله وبالقرب من نشاطاته العامة فى الحياة تجعل الأبناء يدركون عالم الرجل فى عمله وفى مجتمعه .

نماذج أسرية مختلفة :

إن أفضل نماذج التماثل هى فى الآباء الذين يحترمون أدوارهم ودور كل جنس منهما . وبطرق عديدة ينقل سلوكهم اليومى لأطفالهم أن الذكورة والأنوثة مقدّرة .

وفى بعض الأسر ، يتلقى الأطفال الرسالة فى أن مصير الرجل هو فى صنع علامته البارزة فى العالم وفى ترك بصماته فى عصره وإلى الأبد . ويغذى مثل هذا الجو أحلام عظيمة للاكتشاف ، والاختراع ، والإنجاز فى الفنون والعلوم . وينتظر أيضاً من النساء

أن يساهمن فى المجتمع بالإضافة إلى رعايتهن للأسرة . ويعد مثل هذا الرأى ناجحاً إذا قبل الأب والأم دوريهما المختلفين بالرضا ، وأظهرا تقديراً لوضع كل منهما ، وشاركا فى إنجازات كل منهما .

وفى بعض البيوت ، سيحصل الأطفال على رسالة مختلفة . حيث تكون المرأة ضجرة من تربية الأطفال ، ورعاية المنزل ، أو حيث لايقدّر الزوج التعقيد والبراعة المنوطة بكون المرأة زوجة وأمًّا ، فسينظر الأطفال نظرة متدنية لأدوار النساء التقليدية . وربما تصبح البنات فى مثل هذه البيوت لديهن روح المنافسة ، ويشعرن بالإجبار على أن يتفوقن على الصبيان ، وفيما بعد على الرجال فى ألعابهم .

وهناك رسالة مختلفة تأتى من البيت الذى فيه أدوار الجنس معكوسة . حيث المرأة هى الرئيس فى القول والفعل . وكما قال أحد الأزواج :

ـ أنا أقرر الأمور الكبيرة ، إذا كانت الصين ستقبل فى الأمم المتحدة ، أو ما شابه ذلك . وتقرر زوجتى الأمور الصغيرة : السيارة التى نشتريها ، المنزل الذى نعيش فيه ، الكلية التى يلتحق بها الأولاد .

فالزوج فى مثل هذا البيت يبدو أنه يتجنب أن يكون رأس المنزل . إنه يشير بصراحة إلى زوجته على أنها هى الرئيس وعندما يسأله أطفاله عن أى قرار ، تكون إجابته عادة :

ـ اسأل أمك .

فى مثل هذه البيوت ، ينشأ الأطفال وهم يكنون احتراماً وإعجاباً ضئيلين للرجال . ويرى كل من الصبيان والبنات الأب من خلال عينى الأم : كاريكاتيراً لرجل .

ويتأثر كل من الأبناء والبنات بنموذج الأب الضعيف ، والأم المسيطرة . وربما يحاول الصبيان فى التعويض وإثبات رجولتهم بتناول المسكرات أو الاختلاط الجنسى غير الشرعى ، أو الجنوح ، أو القسوة على النساء . وغالباً ما تنسخ البنات فى اختيار أزواجهن نماذج مطابقة لبيتهن الأصلى ، وبذلك تستمر الأدوار المعكوسة لجيل آخر .

دور الجنس والوظيفة الاجتماعية :

إن أهمية تربية الأبناء والبنات الذين هم أفراد يجب ألا تغمط الحاجة فى تنشئة الأبناء الذين هم ذكور والبنات اللاتى هن إناث .

وفى رغبتنا بالمساواة بين الجنسين ، يجب ألا ننسى أن بعض الوظائف البيولوجية ثابتة لايمكن تغييرها ، ولها عواقب سيكولوجية واجتماعية . ولما كانت الأدوار الاجتماعية لاتعتمد فى محاكاتها بشكل ضيق على أساس وظيفة الجنس ، فهى لا يمكن فصلها تماماً عنها . وحيث إن مصير الغالبية العظمى من النساء أنهن سيكن زوجات وأمهات ، فلابد أن يكون تعليمهن العام وتوقعاتهن الخاصة تساعدهن على الحصول على الرضا الكامل عن أدوارهن . وبالطبع فالنساء كأفراد قد يقررن اختيار أدوار مختلفة : فلربما يردن أن يكن مهندسات ميكانيكا وبحريات ، أو عالمات فضاء ، أو يصبحن سيدات أعمال أو عضوات فى الكونجرس . ويجب وجود مرونة كافية للشخص من كل من الجنسين حتى يحقق ذاته فى أى مهنة أو دور سياسى ، وحتى تكون الحياة أسهل عندما لاينشغل معظم الرجال والنساء فى منافسة وتناحر متبادلين .



أطفال فى حاجة إلى مساعدة مهنية



كثير من الأطفال الذين لايشكل اضطرابهم خطراً كبيراً يكون رد فعلهم إزاء المواقف العصيبة أو الصراعات الداخلية اعتلالا عاطفياً . وربما تكون لديهم مخاوفهم وكوابيسهم، فنراهم يقضمون أظافرهم ، ويهاجمون إخوتهم وأخواتهم ، ويعانون من التقلصات العصبية ونوبات الغضب وكثير من الأعراض المرضية الأخرى . إنهم نموذج لأطفال معيبين من بيوت محطمة ، تربوا على أيدى آباء ذوى نية طيبة ، ربما يكونون قد أسرفوا فقط فى حمايتهم أو أسرفوا فى تدليلهم أو أسرفوا فى السيطرة عليهم . ويستطيع مثل هؤلاء الأطفال وآباؤهم أن يستفيدوا من المساعدة المهنية .

وبعض الأطفال يعانون من اضطرابات أكثر خطورة . فهم مهلكون فى غيرتهم ، عنيفون فى عداوتهم ، عديمو الشفقة فى انهماكهم الجنسى . فيحتاج هؤلاء الأطفال ، إلى المساعدة بل ويجب أن يحصلوا على مساعدة نفسية ليصبحوا أناساً طبيعيين ومنتجين .

وفيما يلى أوصاف مختصرة لـ :

(أ) أطفال فى حاجة ماسة وملحة إلى العلاج النفسى .

(ب) أطفال يستطيعون الاستفادة من العلاج النفسى .

أطفال فى حاجة عاجلة إلى العلاج النفسى :

منافسة أخوية حادة جداً :

أطفال فيهم كراهية شديدة نحو إخوتهم وأخواتهم يحتاجون إلى مساعدة . هؤلاء هم الأطفال الذين تُغلّف غيرتهم كل شخصيتهم ، ويبدو فى نيتهم تدمير أى شخص يرونه

فى محل منافسة . وهم يسيئون لإخوتهم وأخواتهم بدنياً أو لفظياً ، ويبدون غير قادرين تماماً على مشاركة تعاطف أى إنسان سواء كان أباً أو أمّاً أو مدرساً ، وغير قادرين على المشاركة فى «الأمور الدنيوية» . وفى الحفلات أو فى البيت ، لايترددون فى الاستئثار بمعظم الحلوى ، أو الكعك ، أو «الأيس كريم» ، أو اللُّعب لأنفسهم ، وقد يخفون مالا يستطيعون استخدامه حتى لايشاركهم أحد فيه .

وفيهم روح التنافس شديدة . وإذا لم يستطيعوا الفوز بأمانة وشرف ، فسوف يفوزون بدونها ؛ لأن الفوز حتمى بالنسبة لهم . وتصبح المنافسة هى طريقهم فى الحياة ، وهدفهم فى الدنيا أن يكونوا على رأس الآخرين . وإذا لم تخفّف هذه الغيرة فى مثل هؤلاء الصغار فى مرحلة طفولتهم ، فسوف يستمرون فى الحياة ويعاملون الناس وكأنهم البديل لإخوتهم . ويصبحون متورطين فى منافسة حياة أو موت حتى فى التافه من الأمور ، ويعتبرون كل خسارة فى الرياضة أو الأعمال كضربة ساحقة لكيانهم . وعندما يقودون سياراتهم ، لابد أن يتجاوزوا السيارات الأخرى ؛ وعندما يلعبون الشطرنج يجب أن يفوزوا وإلاّ أصيبوا بالغم والفشل . وربما أيضاً يواصلوا كراهيتهم لإخوتهم وأخواتهم بشكل مستمر ، ويعملون على إذلالهم مدى الحياة .

إن الأطفال الطبيعيين يشعرون ، أيضاً ، بالغيرة من إخوتهم وأخواتهم ، ولكن غيرتهم لاهى نمط عام ولاسمة مهيمنة . ربما يشعرون بأن أخواتهم يتلقّون مزيداً من الحب ، وقد يتنافسون معهم من أجل المحبة . ولكن عندما نمنحهم الحب تعود لهم الطمأنينة ثانية . وربما يحبون المنافسة والتفوق ، أيضاً ، ولكنهم يستطيعون فى نفس الوقت الاستمتاع بالألعاب من أجل متعة اللعب . علاوة على أنهم يقبلون الهزيمة بدون كثير من الألم أو التوتر .

اهتمام بالجنس حاد جداً :

يظهر بعض الأطفال نضوجاً مبكراً وانشغالاً متواصلاً بأمور الجنس . فيحلمون بالجنس ويفكرون فيه ، ويتحدثون عنه ويلجأون إلى الاستمناء سراً أو علانية ، وينغمسون فى الاستكشافات الجنسية مع أطفال آخرين ، من ضمنهم الإخوة

والأخوات . ويختلسون النظر ويحاولون اصطياد آبائهم فى اتصالات جنسية .

هؤلاء هم الأطفال الذين تعرّضوا لمزيد من الإثارة الجنسية . وربما كانوا ينامون فى حجرة نوم آبائهم ، أو شاركوا فى الفراش مع أخ أو أخت ، أو قام بتدليلهم وإثارتهم بشكل شهوانى شخص منحرف . على أية حال ، فالجنس يستحوذ على عقولهم بشكل كبير . ويدل انهماكهم على فساد فى النمو النفسى الجنسى ، ويحتاجون بشكل قاطع إلى العلاج ، بدون تأخير .

إن الأطفال الطبيعيين يظهرون أيضاً ، اهتماماً بالأمور الجنسية . فقد يعاكسون الجنس الآخر ، أو يتضاحكون معهم وعنهم ، أو يتحدثون عن الزواج وعن إنجاب الأطفال . وقد يكونون واعين بشكل ممتع لشهواتهم الحسية ، ولعلهم يتحسسون أنفسهم ويمارسون الاستمناء أحياناً . ومع ذلك ، يظل نشاط الجنس جزءاً فقط من حياتهم .

وربما يحتاج الأطفال شديدو التواضع والخجل أيضاً إلى مساعدة مهنية . هؤلاء هم الأطفال الذين يصابون بالذعر عندما يراهم أحد مجردين من ملابسهم . وهم خجولون بشكل مؤلم إزاء أجسامهم ؛ ويكرهون دروس التربية البدنية ، ويصابون بالخزى أثناء الفحص الطبى ، حتى ولو كان الطبيب من نفس الجنس :

وربما لايحب الأطفال الطبيعيون ، أيضاً ، خلع ملابسهم من أجل فحص جسمانى أو من أجل الرياضة . وقد يعترضون ويحتجون ، ولكنهم لايصابون بالرعب .

أطفال عدوانيون بإفراط :

يحتاج الأطفال شديدو العدوانية إلى مساعدة مهنية . ويجب أن يقدّر معنى العدوانية ويتفهمها تفهّماً كاملاً . وطالما أن العدوانية قد يكون سببها مصادر مختلفة ، فمن الضرورى العثور على سبب العدوانية فى كل حالة على حدة، حتى يتناسب العلاج مع السبب والحالة .

وأحياناً نقابل أطفالاً لايَحُدّ من عدوانيتهم التعبير ولا يصاحب تخريبهم أى شعور

بالذنب . وبعض هؤلاء الأطفال قادرون على منتهى القسوة بدون قلق أو ندم ظاهر . ويبدو أنهم تنقصهم القدرة على المواساة ، ولايظهرون أى اهتمام لخير الآخرين . ولاشىء يبدو صالح التأثير على هؤلاء الأطفال ، فلا النقد والاستهجان يؤثر فيهم ، ولايبالون فيما يفكر فيه الآخرون نحوهم . ولاحتى العقوبات والآلام تُكْرِهُهم على إصلاح أنفسهم . إن مثل هؤلاء الأطفال يحتاجون إلى مساعدة مهنى مختص .

وبعض الأطفال ينغمسون فى عدوانية بعض الوقت فقط ويحدث السلوك العدوانى فى البيت لا فى خارجه ، أو بالعكس ، فى المدرسة لا فى البيت . وهذا يُعْرَف بالعدوانية التفاعلية . فالشجار ، أو القسوة ، أو التلاعب ، أو التخريب العام هو تفاعل ضد سوء معاملة واقعية أو تخيلية من قِبَلِ الآباء . ولأنهم يشعرون أن آباءهم قد خذلوهم يصبح هؤلاء الأطفال فى ريبة من كل الكبار . فيخافون الكبار ، ولايثقون فى عطفهم ويرفضون محاباتهم . وليس من السهل إنشاء أواصر علاقة مع مثل هؤلاء الأطفال . وأطفال بمثل هذا التاريخ يستفيدون من العلاج عندما يستطيع المعالج أن يكسب ثقتهم وأن يقيم علاقة مبنية على الاحترام المتبادل .

إن الأطفال الطبيعيين ، أيضاً ، أحياناً ماينغمسون فى السلوك التخريبى . وأكثره يعود للفضول وارتفاع الطاقة . وبعضه يعود للإحباط والاستياء . وربما يخربون لعبهم من الفضول أو من الغضب ، ولكنهم أكثر حرصاً مع ملكية الأطفال الآخرين . والطفل الطبيعى ليس شديد الحرص على ممتلكاته ، فقد يعيدها لمكانها بعد اللعب أو لايعيدها ، وهو يدع الأطفال الآخرين يلعبون بِلُعَبه وأدواته بدون خوف من التكسير . وعندما يكسر لعبة فلا يصبح معتل المزاج . ولايبالى بالحادثة ، ويبحث عن لعبة أخرى. ولايشعر حتى بالإجبار على ترتيب الحجرة .وفى الحقيقة ، عند نهاية اللعب ربما يخرج من الحجرة بدون أن ينظر وراءه إلى الفوضى التى تركها خلفه .

عادة السرقة :

إن الأطفال الذين لهم تاريخ طويل يحتاجون إلى مساعدة مهنية . والإصرار على السرقة علامة خطيرة غالباً ماتمثل استياء حاداً ضد السلطة . وبعض هؤلاء الأطفال

يظهرون تجاهلاً تاماً وتحدِّيا لحقوق الملكية . ويتعهدون التافهة ، وما ليست بالتافهة . ويسرقون المقادير الصغيرة ، عندما تسنح الفرصة ، وقد يسرقون فى البيت ، أو المدرسة ، أو المعسكر ، أو السوبرماركت ، أو من الجيران ، والعلاج لهم قد يكون عملية طويلة ؛ فمثل هذه العداوة العميقة ليس من السهل اجتزازها .

إن الأطفال الذين يسرقون من البيت فقط لاينتمون لهذه الفئة . والسرقة من كيس الأم قد تمثل دعوة للحب أو للانتقام لسوء معاملة حقيقية أو متخيلة . وربما ينغمس الأطفال الطبيعيون ، أيضاً ، فى حوادث عرضية أحياناً لسرقات خفيفة خارج البيت . فقد يأخذون فاكهة وحلوى ، أو يفشلون فى إعادة شىء «استعاروه» أو «عثروا عليه» . ويذكر الباحثان «فرانسيس ل . إلج» «ولويس ب . أميس» فى كتابهما «سلوك الطفل» :

الطفل فى الخامسة يفضّل القروش على الجنيهات وفى السادسة يستجيب لجمال بعض الأشياء التافهة الطريفة ويأخذها أمام عينيك ، ومع ذلك ينكرها عند مواجهته . وفى السابعة يُصبح وَلَعُه بالأقلام الرصاص والمحايات قوياً جداً ، فيرغب فى المزيد والمزيد بين يديه . وفى الثامنة تصبح النقود السائبة فى درج المطبخ محل إغراء فعلى ؛ لأنه يكون فى بداية معرفته بقيمة النقود . . . والأشياء التى يستطيع أن يشتريها بها . وعندما يتم اكتشاف السرقة ، يعاقب ويحذّر . ولعله يقدم الأعذار بأنه «لم يكن يقصد ذلك» ويؤكد على أنه لن يفعل ذلك ثانية . ويوما آخر . . . وسرقة أخرى .

ومع ذلك ، فهذا الشكل من السلوك زائل ولايدوم طويلاً . وعندما يكبر الأطفال أكثر يبدأون فى إدراك حقوق الملكية ويحترمونها .

صدمة حديثة :

إن الأطفال الذين يتعرضون لكارثة فجائية قد يصابون بأعراض شديدة حتى فى غياب الاضطرابات الشخصية المترتبة ، وربما يتفاعل الطفل بقلق مهيمن إزاء حريق ، أو حادث سيارة ، أو وفاة شخص عزيز ، وربما يصاب بأعراض مأساوية .

والعلاج الفورى أمر ضرورى ؛ لذا يزول القلق المتولّد من كارثة حديثة عندما يستطيع الطفل أمام شخص متفهّم أن يعيد تمثيل الدور مع اللُّعب ، ويقول فى كلمات من عنده ، الأحداث والذكريات المخيفة .

وفى كتابها «أطفال فى وقت الحرب» تصف «أنّا فرويد» الفرق فى رد الفعل بين الأطفال الصغار والكبار ، أثناء ضرب لندن بالقنابل . فبعد ليلة من قذف القنابل ، شعر الكبار بالاضطرار إلى سرد تجربتهم مع الخوف والفزع وإعادة سردها . أما الأطفال الذين عاشوا نفس التجربة فنادراً مايتحدّثون عنها . وخرجت مخاوفهم وتوتراتهم فى لعبهم . فبنوا بيوتاً من القوالب وألقوا بالقنابل عليها .

وزعقت صفارات الإنذار ، واشتعلت الحرائق ، وقامت عربات الإسعاف بنقل المصابين والموتى . ولمدة أسابيع أخذوا يلعبون ويخرجون ما فى داخلهم من مشاعر للصدمة والرعب . وبعد هذا التمثيل الرمزى المعاد والمطوّل للأحداث بدأ الأطفال يقدرون على الحديث عن مشاعرهم وذكرياتهم بدون خوف أو قلق .

والعلاج النفسى يوفر وَضْعاً مناسباً ، وأدوات ملائمة ، وشخصاً ناضجاً متعاطفاً لمساعدة الطفل فى ساعة حاجته الملحة . ويساعد المعالج الطفل فى أن يعيش مرة ثانية ، من خلال اللُّعب والألفاظ ، والأحداث المخيفة حتى يستطيع أن يتمثل ويستوعب فزعه وقلقه ويتحكم فيهما .

الطفل الشاذ :

عندما يظهر على طفل صغير علامات عديدة لسلوك غريب نلجأ إلى الاستشارة المهنية لتحديد ما إذا كان يوجد اضطراب عقلى حاد أم لا . فالطفل شديد الاضطراب مختلف تماماً عن الأطفال الآخرين . إنه ينعزل وينسحب بعيداً . إنه كالغريب فى عقر داره . إنه لايقترب من أحد ولايستجيب عندما يقترب منه أحد . إنه لامبال للود والمحبّة ولا الغضب أيضاً . فلا يوجد، أى تغيير فى استجاباته : لا نظرة اهتمام ، ولا ابتسامة سعادة ، ولا حتى علامة حزن .

عندما ينفصل عن أمه ربما يظهر فتوراً ولامبالاة ، ويتبع أى أحد يأخد بيده بحسٍّ مفقود، أو قد يتعلق بأمه فى ذعر شديد ، وكأن الفراق هو المحْقُ والإبادة . وربما يبكى الأطفال الآخرون عند الفراق ؛ ولكن بكاءهم يزول بالعناق وإعادة الاطمئنان . أما بكاء الطفل الشاذ فلا يتغير ولايتأثر بشتّى الحيل .

ويبدو الطفل الشاذ غافلاً عن العالم المحيط به . وربما يظل جامداً على حالة فى وضع واحد أو يهتز غدواً ورواحاً لفترات طويلة . واهتمامه الرئيسى هو جسده . ولايُظهر أى شكل من أشكال المدنية ، وقد يمارس الاستمناء علناً ، أو يتبوّل فى الأماكن العامة ، أو يوسخ نفسه بدون خجل . وقد يأكل ما يسيل من أنفه أو يفرز لعاباً «ريالة» على نفسه وعلى الآخرين . ولايفرق بين الأشياء التى تؤكل والتى لاتؤكل ، ويضع كل شىء فى فمه بلا تمييز . وربما يبتلع الرمل ، أو يأكل الطين ، أو يملأ فمه بالنفايات . والأطفال الآخرون ، أيضاً ، يجربون أكل الطباشير أو الوحل ، ولكنهم لايواظبون عليه .

وربما ينغمس الطفل الشاذ فى نشاطات مكررة لساعات لانهاية لها إلى حد الإملال . فربما يعبث بقطعة خيط ، أو يفتح ويقفل دُرْجاً ، أو يلوى شعره ، أو يشد أذنه ، أو يدس إصبعه فى شق بالحائط . وفى انبهار رتيب سيدير عجلة ، أو يطقطق مفتاحاً كهربائياً بشكل متقطع بين الفينة والفينة ، أو يدير مقبض الباب شمالاً ويميناً . ويفضل أن يلعب بالقوالب والخرز ، ويصر على ترتيبها بنفس النماذج أو السياق دون تغيير . وله ذاكرة غير عادية فى نوع وعدد وموقع اللُّعب فى حجرته ، ويتكدّر بشدة عندما توضع فى غير موضعها أو تكسر . وربما تتوقف دموعه ونوبات غضبه بشكل مفاجىء عندما تعاد الأشياء إلى حالتها السابقة .

والطفل الشاذ قد يبدى ردود أفعال غريبة للألم الجسمانى . فقد ينغمس فى إيذاء نفسى خطير بدون كلمة شكوى ؛ وقد يخبط رأسه فى الحائط ، أو يعصر إصبعه فى باب، أو يجلس على شىء يشع بالحرارة ، أو يقطع إصبعه حتى يدمى . وربما يكون رد

فعله الوحيد لألمه تكشيرة غريبة أو ضحكة جوفاء . وأية محاولة للمواساة تذهب أدراج الرياح !

وحتى عندما يتعلم الطفل الشاذ كيفية الحديث فإنه لايبدى أى اهتمام بالتفاهم . وعندما يتكلم ، يستخدم عبارات ليست لها صلة بالموقف . وعندما يوجه إليه سؤال مباشر ، فقد يجيب بتكرار السؤال كالببغاء . أو قد لايستخدم الكلام مطلقاً ، ويبقى لا مبالياً تماماً لأى إلحاح .

أطفال يستطيعون الاستفادة بيسر من المساعدة المهنية :

الطيب بشكل لايصدق :

بعض الأطفال يبدون طيبين جداً بشكل لايصدق . فهم مطيعون ، ومنظّمون ، ونظيفون . ويقلقون على صحة الأم ، ويهتمون بعمل الأب، وشغوفون بالعناية بأختهم الصغيرة . وكل حياتهم تبدو موجهة نحو إسعاد والديهم. ويتبقّى لهم طاقة بسيطة للعب مع الأطفال الذين من سنهم .

وفى المدرسة وعند الجيران قد يستمر مثل هؤلاء الأطفال فى نفس سلوكهم الفاضل . وسيكونون مهذبين خنوعين ويقضون وقتهم وطاقتهم فى استرضاء المدرّسة التى يخافونها . فيحضرون لها وسائل الإيضاح ، ويرسمون لها الصور ، أو يتطوعون لتنظيف السبّورة . ومن اليوم الأول ، وهم يقولون للمدرّسة : كم هى لطيفة ! وكم هم يحبونها ! ولايمكن أخذ المديح وتصريحات الحب محمل الجد . فهؤلاء الأطفال ربما يستخدمون نفس الألفاظ مع الغريب أو مع فتوة الفصل . وربما يكون حديثهم الحلو هو طريقهم لإفشاء كم هم خائفون من دوافعهم العدائية والعلاقة الناتجة عن الآخرين .

والعلامة الملحوظة المتكررة فى مثل هؤلاء الأطفال هى التعب المزمن . فتحت القناع الفاضل يختبىء كثير من الدوافع السيئة . فالجهد فى تحويل الدوافع العدائية إلى سلوك ملائكى ، والاحتراس الأبدى المطلوب لحفظ هذا المظهر الكاذب يستهلك طاقة الحياة من هؤلاء الأطفال . فلا عجب من أنهم متعبون ومرهقون .

ويوفر العلاج النفسى وضعاً ناجعاً لتعديل هذا السلوك المفرط فى الطيبة . كما يشجع على الإقلاع عن الإذعان العبودى واتخاذ حالة الثقة الطبيعية . وعن طريق الملاحظة والتجربة يتعلمون أنه لا داعى لمحو الذات لكى يرضى الناس عنهم ، ويبدأون ببطء فى السماح لدوافعهم بكسب بعض التعبير . ويبدأون فى اكتشاف حاجاتهم الخاصة ، ويعرفون مشاعرهم الخاصة ، ويؤسسون شخصياتهم الخاصة .

أطفال غير ناضجين :

يندرج تحت هذا الصنف الأطفال الذين يتعاملون كالأطفال الرضع ، لا كأفراد فى حالة نمو لهم أفكارهم وحاجاتهم الخاصة بهم . هؤلاء الأطفال المدللون بإفراط ، والذين يتمتعون بعناية زائدة غير مستعدين لحقائق الحياة خارج ملاذ الأسرة . وهم لديهم فرصة ضئيلة لتنمية الإدراك لحاجات ومشاعر الآخرين وتقديرها حق قدرها ، ويجدون صعوبة فى مشاركة الملكيات أو فى تأخير الاستحسان عنهم . ولقد أفسدهم التدليل ويريدون ما يريدونه عندما يريدونه . ويظهرون اعتماداً زائداً على الآباء ، والإخوة والأخوات ، وزملاء اللعب ، ويضايقون كل إنسان بطلبهم الدائم الدءوب للانتباه ، والمساعدة ، والموافقة . وبدلاً من أن يبذلوا جهودهم الخاصة، فهم يريدون أن يخدمهم الجميع ، وربما يطلبون المساعدة فى كل شىء حتى فى إطعامهم وفى ارتداء ملابسهم . إن الأطفال الذين يظلون فى سن الحضانة دائماً ما يقعون فى صراعات . فهم يخلقون توتراً فى البيت ، واضطراباً فى المدرسة ، ونزاعات بين الجيران .

والعلاج النفسى فى مجموعات منتخبة بشكل مدروس له فائدته الأكيدة للأطفال غير الناضجين . فالمجموعة تقدم الحافز من أجل النمو وتساعد عليه ، كما تقدم ميدان تنافس آمن لإجراء التجارب على الأشكال الجديدة من السلوك . وفى المجموعة يتعلمون ماهى أوجه السلوك غير المقبولة اجتماعياً ، وماهو السلوك المتوقع . ونتيجة لذلك ، يبذلون الجهد للتعديل من أنفسهم للوصول لمعايير زملائهم . وفى المجموعة يتعلمون تشكيلة من الطرق الاجتماعية الأساسية ، مثل مشاركة الأدوات والنشاطات وانتباه شخص ناضج محب . ويتعلمون أن يتنافسوا ويتعاونوا ، وأن يتناحروا وأن

يسوسوا تناحرهم ، وأن يساوموا وأن يتهادنوا ، ويتوصلوا لتسوية مرضية . وتُعِدُّ مثلُ هذه الطرق هؤلاء الأطفال للتعامل مع أقرانهم على قدم المساواة .

أطفال منطوون على أنفسهم :

يمكن وصف هؤلاء الأطفال كخجولين ، خائفين، خاضعين ، منعزلين ، مكبوتين ، صامتين ، وخنوعين . لديهم صعوبة فى التعبير عن المشاعر العادية للمحبة والعدوان ، لديهم أصدقاء قليلون، ويتجنبون اللعب والنواحى الاجتماعية. وهم فى عسر شديد فى كل التعاملات الشخصية ، ويتجنبون مقابلة الناس والتعرف على أصدقاء ، وهم يريدون دائماً من الغير أن يقوم بالخطوة الأولى فى التعارف ، ومع ذلك فربما لايستجيبون لذلك .

والأطفال المنطوون يجدون صعوبة فى الاقتراب من المدرِّس فى المدرسة أو من زملاء الفصل فى الساحة . ويتعذَّبون عندما يطلب منهم القراءة بصوت مرتفع أو الإجابة عن سؤال ، وربما يجيبون عن سؤال بنعم أَوْ لاَ ، أو لايجيبون على الإطلاق ويقضون اليوم كله جالسين فى صمت ومحلّقين فى الفضاء . وحتى فى الملعب ، أيضاً يكونون منعزلين. ويتجولون بلا هدف . وعندما يرون أن يلعبوا فإنهم يختارون نشاطاً آمناً وهادئاً لايتطلب أخذاً وعطاءً اجتماعياً . وعندما يفرض عليهم محك اجتماعى فقد يتصاعد قلقهم إلى حد الهوس .

ويمكن مساعدة الأطفال المنطوين فى العلاج النفسى . فالمرشد المحب ، والأدوات الساحرة ، وأعضاء المجموعة المصطفون ـ تجعل من الصعب عليهم البقاء داخل قوقعتهم . ويعجّل العلاج فى الخروج من العزلة ويشجع الحرية فى اللعب والتخاطب مع الأطفال الآخرين .

أطفال خائفون :

مثل الشاى بالحليب ، الأطفال الصغار مع المخاوف يتواءمون. ولقد وجد فى إحدى الدراسات ، أن أكثر من تسعين فى المائة من الأطفال يشعرون بمخاوف معينة .

كانت الكلاب الخوف الرئيسى لأطفال عمر ثلاث سنوات؛ والظلام لأطفال أربع سنوات . وتقل هذه المخاوف مع السن ، وتتلاشى تقريباً فى عمر ثمانى سنوات . وكانت المخاوف الأخرى لأطفال أسوياء هى سيارات المطافىء ، صفارات الإنذار (السرينة) ، الزلازل ، الاختطاف ، القيادة السريعة ، الثعابين ، والأماكن المرتفعة . وبعض الأطفال أبدوا تفهماً بسيطاً ، ولكنهم لم ينسحبوا من الموقف إذا كان الأب أو الأم بالقرب منهم . وشعر آخرون بانزعاج شديد ؛ وأرادوا ضوءاً مشتعلاً طول الليل أو أظهروا توتراً عندما مرت سيارة المطافىء أو عند ذكر حادث سطو على منزل .

وبعض الأطفال الخائفين يحتاجون إلى مساعدة مهنية . وهم الأطفال الذين لديهم مخاوف مستمرة وشديدة . وشدة رد فعلهم هى المعيار . إنهم يصابون بسبب قلقهم بالشلل والعجز حتى ولو كان خوفهم غير منطقى ، فيخافون أن تنطبق السماء على الأرض ، أو ربما البرق يصعق المنزل ، وربما يكتسح الفيضان الأسرة كلها . ولا نهاية لمنظارهم الذى يطل على بواعث خوف وعلى أناس خائفين .

وبعض الأطفال نظيفون بشكل مرضىّ ؛ فعالمهم كله يبدو قذراً لهم ، وهم حريصون على ألاّ يتلوثوا . ويخافون من أى ذرة تراب على أيديهم أو ملابسهم ، ويصابون بالكرب إذا لم يستطيعوا غسلها على الفور . وأطفال آخرون يخافون الأصوات المزعجة ، والأماكن العالية ، والناس الجدد ، والمياه الجارية ، والأركان المعتمة ، والحشرات الصغيرة ، والحيوانات الكبيرة . ويحاولون الهروب من القلق بتجنّبهم أماكن ونشاطات تبدو مهددة لهم . وهكذا لايذهبون قرب المياه ، ويتجنَّبون الصعود على السلالم الخشبية ، أو يرفضون البقاء فى حجرة مظلمة .

وفى العلاج : من المحتمل أن ينغمس بعض الأطفال فى نشاطات تتطلب من الطفل الخائف أن يتعامل مع مخاوفه . فقد يطلقون بنادق كبسول ، أو يستخدمون أصابعهم فى الرسم بالدهانات ، أو يغطون أنفسهم بالوحل ، أو يطفئون الأنوار . وتعمل المجموعة على استحالة هروب الطفل الخائف من مواجهة مشكلته . ويستطيع المعالج النفسى عندئذ أن يتعامل مع ردود الفعل عند حدوثها . فيساعد الطفل على أن

يلعب بمخاوفه الهائجة ويتحدث عنها ويقلل من قلقه الغامض ويتحكم فيه .

الصبيان المخنثون :

وينصح بالمساعدة المهنية أحياناً للصبيان القادمين من بيوت بلا أب أو حيث يكون الصبى الوحيد فى أسرة معظمها إناث . وطالما أن نماذج القدوة والمماثلة فى مثل هذه البيوت أغلبها غير رجولية ، فلا حول ولاقوة للصبيان إلاّ انتحال أدوار أنثوية . فينقصهم السمات الهجومية المتوقعة من الصبيان فى عُرفنا ، وربما ينزوون فى خجل بعيداً عن الألعاب الخشنة أو لايستطيعون الاندماج بحرية مع الصبيان الآخرين ، ويشعرون بمزيد من الارتياح فى مصاحبة البنات . وعادة مايتلقّى مثل هؤلاء الأطفال معاملة خشنة من الأطفال الآخرين . فيطلقون عليهم أسماء يعيرونهم بها ، ويهاجمونهم ، ويسيئون إليهم . وهم يوصمون بالعار اجتماعياً ويرتعبون عاطفياً ، وربما يصبحون غير أسوياء عندما يكبرون .

ومثل هؤلاء الصبيان يحتاجون إلى المساعدة المهنية ، التى يمكن أن تقدم لهم نموذجاً للمماثلة مرغوب فيه ، وتشجع الثقة ، وتبعث بالعناصر الرجولية فى شخصياتهم .

التقلصات والعادات النمطية :

بعض الأطفال يظهرون عادات نمطية مستمرة تزعج الآباء . فهم يغمضون أعينهم نصف إغماضة أو يتنشّقون أو يعبسون أو ينتفضون أو يفركون أنوفهم أو يدعكون عيونهم أو يحمحمون ويتنهنهون أو يقوّسون أكتافهم أو يقضمون أظافرهم أو يرضعون إبهامهم أو يطقطقون مفاصلهم أو ينقرون بأقدامهم . ولعل التقلصات والعادات النمطية تصبح واضحة وبشعة المنظر حتى إنها تلفت الانتباه . وربما تتشوه الأصابع ، أو يشبّع الجلد بالماء ، أو تقضم الأظافر حتى نهايتها . ولا يوجد، مهرب من الأصوات المتنافرة للأنوف ، والحناجر ، والمفاصل والأقدام . ويحتاج هؤلاء الأطفال إلى علاج نفسى ، ورعاية طبية ، لتحديد نوع العلاج الضرورى .

وربما يظهر الأطفال الطبيعيون أيضاً أنواعاً من العادات النمطية والتقلصات

العضلية . ومع ذلك ، فهى مظاهر ليست دائمة . فهى تظهر فى معظم الأحوال عندما يكون الطفل مفرط التعب أو نعسان أو مشغول البال ، أو تحت ضغط عاطفى .

التبوّل والتبرّز اللاإرادى :

من المقدّر أن هناك حوالى من ١٠ إلى ١٥ فى المائة من الأطفال يظلون يبللون أسرَّتهم بعد سن الأربع السنوات . وبعضهم يبللون أنفسهم أيضاً أثناء النهار . ومعظم هؤلاء الأطفال لايتحكمون فى مثانتهم إطلاقاً . فبعد إبدال ملابسهم يعودون لإبلال أنفسهم ثانية .

ويعتبر التبّول اللاإرادى عادةً مؤشراً للاضطراب العاطفى ؛ ويعود حوالى (٥) فى المائة فقط من التبول اللاإرادى إلى أسباب عضوية (ولذلك ، يجب عرض هؤلاء الأطفال على طبيب الأطفال ليقوم بتحديد ذلك) .

ولكن التبول اللاإرادى نفسه لا يُفْصح عن درجة الاضطراب العاطفى . فهو يوجد فى الأطفال المضطربين اضطراباً خفيفاً كما يوجد فى الحالات الأشد خطورة . وأحياناً يختفى بعد علاج نفسى مختصر وفى أحيان أخرى يصعب التخلص منه .

ويعتبر التبرّز اللاإرادى المستمر بعد سن الثالثة أو الرابعة عرضاً من أعراض الاضطرابات العاطفية ، عندما يقرر طبيب الأطفال أنه ليس لأسباب عضوية .وهو أمر شائع بين أطفال مرحلة ماقبل المدرسة ، ولكنه يوجد أيضاً بين أطفال سن المدرسة والمراهقين . وكلما كبر الطفل ، أصبحت المشكلة أخطر . والتبرّز اللاإرادى يمثل شكلاً من أشكال التمرد ضد السلطة الأبوية بصفة عامة ، وضد التدريب الصارم على التبرّز بصفة خاصة ؛ ولذلك فلوم الطفل ومعايرته ربما تتسبب فى مشاكل إضافية ومقاومة متصلبة .

إن التبول والتبرّز اللاإراديين عبارة عن أعراض مزعجة حتى إنّها فى الحالات المعتدلة ربما تحتاج إلى المساعدة المهنية . وعلى أية حال ، ستساهم العلاقات المحسنة بين الوالدين والطفل بشكل كبير فى حل هاتين المشكلتين .



•١١•

الفصل الحادى عشر

آباء فى حاجة إلى مساعدة مهنية



شخصية الآباء وسلوك الأطفال :

إن شخصية الطفل يُكوّنها الجو العاطفى لبيته . وهذه حقيقة تبدو بديهية ، ومع ذلك ، فلقد تعرفنا حديثاً فقط على العلاقة بين شخصية الوالدين وسلوك الطفل . وبعض الممارسات الأبوية صريحة وواضحة ، ويمكن ملاحظتها والتعرف على تأثيرها . وهناك ممارسات أخرى مقنّعة وخفية : يمكن فقط استنتاجها وافتراض أثرها .

وأى كشف للاتجاهات والسمات الشخصية غير المرغوب فيها ستتضمن هؤلاء الآباء المفرطى العاطفة ـ أو المفرطى الحماية ، أو الحمقى ، أو الغاوين ، أو النابذين ، أو مفرطى الإخلاص .

آباء مفرطو العاطفة :

مواقف خاصة وسلوك عام :

إن الأطفال الذين لهم آباء مفرطو العاطفة يمكن التعرف عليهم بسهولة ، ونسمعهم ونراهم دائماً . ومنذ الحياة المبكرة قد تعلموا أنهم يجب أن يصرخوا ليسمعوا ، ويتحدثوا بسرعة حتى لايقاطعهم أحد . ويعكسوا بإخلاص اضطراب والديهم . وكثيراً ما لا يعى كل من الأطفال والآباء بعاطفتهم الزائدة وانفجاراتهم الجاهزة دائماً . وعندما يلفت أحد نظرهم لذلك ، فربما يرجعون ذلك لبعض السمات العرقية أو للطبع ، فيقول أحدهم بشىء من الاعتزاز :

ـ إننى أحمر الشعر ، وأنت تعرف !

أو ـ إنه أصلى الصعيدى !

فمثل هؤلاء الناس ليسوا مزعجين كثيراً ما دامو داخل محيطهم، ولكن عندما يبدأون الاتصال بالمجتمع الأوسع ، يصبحون مصدر إزعاج . إنهم جدلّيون ومضيّعون للوقت. وهم متحدثون بصوت مرتفع ، ولكنهم لايجيدون الاستماع، وهم تهويليون ذوو سلوك ميلودرامى ، ولكنهم غير واعين بأثرهم البغيض .

وربما كان مثل هؤلاء الآباء غير مزعجين بالنسبة للعلاج النفسى ، ولكنهم مزعجون اجتماعياً . وهم فى حاجة إلى بعض المساعدة المهنية لتغيير مواقفهم الخاصة وسلوكهم العام .

آبـاء مفرطـو الحمايـة :

اهتمام لايلين بالتفاصيل :

الإفراط فى الحماية معناه أساساً الاهتمام الذى لايلين بالتفاصيل الدقيقة الخاصة بالطفل . فمنذ الولادة ومثل هؤلاء الآباء ربما يقلقون بشكل لانهاية له على حياة الطفل . وماهو روتين بسيط لمعظم الآباء يصبح مسألة حياة أو موت لأم مفرطة الحماية . إنها مثل الشخص الذى يقود السيارة وغطاء محركها مفتوح لكى يستطيع ملاحظة المحرك .

فربما تفحص تنفس طفلها عدة مرات فى اليوم ، أو تُغيِّر ما يأخذه من طعام ، أو تقيس درجة حرارته ، أو تقلق إزاء نومه . وعندما يقف تخشى أن يقع ، وعندما يركض، تخشى أن يصاب بأذى ؛ وعندما يصاب بارتفاع فى درجة حرارته تتأكد من اقترابه من الموت .

مثل هذه الأم لا ترحم نفسها فعلاً . فهى لاتتوقف عن فعل أشياء غير ضرورية من أجل طفلها . وما تستطيع أن تفعله من أجله ، لايجب أن يفعله هو لنفسه ، حتى عندما يكون يريد ذلك ويقدر عليه . هذه الأم سوف تُلبسه ملابسه وتطعمه طعامه ؛ ولو استطاعت أن تهضم طعامه بدلاً منه لفعلت من أجله .

باختصار وظيفة الطفل فى كل ما يتعلق بالحياة تأخذها الأم على عاتقها ، والنتائج جالبة للمصائب . فالطفل ينمو ، ولكنه لاينضج . دعنا نقول إنه عاش على ذات

مستعارة ، لقد فشل فى تطوير ذاته ، ويبقى طفلاً صغيراً معتمداً على الأم . إنه لايعرف مشاعره ورغباته هو ، ويفتقد المهارات الاجتماعية الأولية ، وطالما أن أمه هى التى تشكل له عقله ، فإنه لديه صعوبة كبيرة فى التفكير . وله تبصر ضئيل فى نفسه أو فى العالم الذى من حوله . إنه لايرجع السبب للنتيجة ، ويرتاح للتفسيرات السحرية . ويضيع مثل هؤلاء الأطفال الكثير من الطاقة فى صراع دائم بين الاعتماد على الأم ورغبتهم التى يشعرون بها فى ضعف للاستقلال الذاتى . إن الآباء المفرطى الحماية يحتاجون إلى مساعدة مهنية إذا كان لأطفالهم أن يصبحوا متمتعين باكتفاء ذاتى .

آبـاء حمقــى :

أطفال كلُعَب وكأدوات :

بعض النساء اللاتى يصبحن أمهات يجدن صعوبة فى إمداد أطفالهن بعلاقة دائمة ثابتة .

وبالرغم من أنهن قد يستمتعن بشكل لحظى بطفلهن ويلعبن معه وكأنهن يلعبن بدمية ، فهن لايستطعن حمل عبء الأمومة .

إنهن أنفسهن يحتجن إلى رعاية أمومة ، أو يبحثن عنها فى أطفالهن . وبقلب الأدوار وعكسها يطلبن الخدمة والأمان من نسلهن . ويشعر الأطفال بالاضطرار لحمايتها ، وتسلية الأم والقلق عليها . وطالما أنهم غير قادرين على تحقيق مثل هذه المطالب ، فهم يتركون ومعهم مشاعر أبدية بالفشل والقلق . ويكبرون وهم محرومون من الطفولة ، وشاعرون بالذنب ولوم الذات . هؤلاء الأمهات يحتجن للمساعدة فى النمو .

آبـاء سُكارى :

عواصف مفاجئة وهجر دورى :

يتعرض طفل الأب السكّير إلى عواصف مفاجئة غير مفهومة . إنه يشاهد أباه وتغير حالاته وسلوكه بطريقة مخيفة ولايمكن التنبؤ بها . ويعرف أنه فى مثل هذه الأوقات

لاشىء مهم بالنسبة لأبيه مثل زجاجة الخمر . فيشعر بأنه عاجز مهمل .

إن مناظر الحفلات الصاخبة لاتمحى أو تزول بسهولة ، ويرى الطفل رمز أمانه واطمئنانه ينهار أمام عينيه . ويرى أباه أو أمه دائخاً وفاقد الحس ، ضعيفاً كثير الكلام، بكاءً مستبداً ، فى عالم يفوق إدراكه أو فى غير متناوله . وربما يضطر أيضاً لمواكبة مرض أبيه وغثيانه .

والأب / الأم السكير قد يحب أطفاله جداً ، ولكن بسبب مشاكله الخاصة لايستطيع أن يرعاهم بشكل دائم . مثل هؤلاء الآباء يحتاجون إلى مساعدة مهنية لكى يتغلّبوا على مصاعبهم .

آبــاء غــاوون :

الحاجة إلى احتشام ناضج :

بعض الآباء لايعون أن طفلهم ربما ينظر إليهم بشكل شهوانى وينفعل نحوهم جنسياً . فربما بشكل غير مقصود ، يزيدون حدة حوافز الطفل الجنسية تجاههم . فالأب الذى يخلع ملابسه أمام ابنته ، أو الأم التى تستمر فى تنظيف أجسام أولادها الكبار ينبّهان مشاعر وخيالات جنسية . ويسمح بعض الآباء لأطفالهم الكبار بالنوم معهم فى نفس السرير ، وينغمسون فى الملاطفة والتدليل المتبادلين . ويرى بعض الآباء أنه ليس هناك خطأ فى تقبيل الأطفال على الفم واحتضانهم أحضاناً دافئة طويلة .

ويخاطبون أطفالهم وكأنهم محبوهم وينتظرون منهم سلوكاً مماثلاً . وتحب بعض الأمهات الرقص مع أبنائهن .

إن لمثل هذا السلوك تأثيرات مدمّرة على نمو الطفل الجنسى . والفتيات اللاتى لهن آباءغاوون يملن إلى الانغماس جنسياً مع رجال كبار فى السن ، أمّا أبناء الأمهات الغاويات فربما تغمرهم النزوات الشهوانية وتدفعهم إلى علاقات جنسية سابقة للأوان وغير ناضجة . وبالعكس ، فربما يخاف البعض من طرق الآباء الشهوانية فيتجنب

الجنس تماماً عندما يكبر ، أو يبحث عن الاكتفاء مع أفراد من نفس الجنس . ويحتاج الآباء الغاوون إلى علاج نفسى .

آبـاء نابـذون :

الهجر الجسمانى والنّبذ العاطفى :

كثير من الآباء لايمكنهم أن يتخيلوا أُماً تكره رضيعها بالفعل . ويصدمون لأخبار الصحف عن الآباء الذين يسيئون أو يهجرون أطفالهم . إن فكرة النبذ الجسمانى للطفل فى حد ذاتها تبدو لاتصدق .

وعلى العكس ،فإن النبذ العاطفى أكثر تفشياً فنجد كثيراً من الآباء لا يوفّرون للأطفال الرعاية الضرورية من الحب من أجل نموهم . ويعود النبذ العاطفى إلى مصادر عديدة ، من بينها عدم النضج ، والنرجسية ، وعدم الاكتفاء ، وعدم قبول الدور الجنسى .

والنّبذ العاطفى له أوجه عديدة . فقد يظهر فى المضايقة المستمرة والمطالبة بالكمال مع الانعزال وعدم الاهتمام . وربما يرتدى أيضاً قناع الاهتمام الزائد والحماية الشديدة .

ويحصل الأطفال المنبوذون على رسالة مروعة من آبائهم :

ـ لاتزعجنى بحياتك . اكبر بسرعة واخرج من حياتى . فيرغب مثل هؤلاء الآباء بإزاحة ذريتهم صغاراً وكباراً حتى يخلّصوا أنفسهم من الأعمال والالتزامات البغيضة . فيطعموا أطفالهم باستعجال ، ويدربوهم على التبول والتبرّز بسرعة ، ويلقوا عليهم مسئولية ، هم ليس وا على استعداد لها ، فيدفعوا بهم إلى استقلال ذاتى قبل أوانه ، ويسيطر على الأطفال الخوف من الفشل والنقد . ويتوقعوا الاتهام واللوم وينشغلوا فى حشد المجادلات للدفاع . ويعيشون وكأنهم فى قاعة محكمة ، حيث يجب أن يبرروا وجودهم نفسه . إنهم قلقون تستبد بهم الهواجس فى إبطال وتحطيم «الآثام» الماضية والتملّص من الأخبار المستقبلية حتى إنهم لايؤدّون مهام الحاضر جيداً .

والاستغراق الدائم فى الخطر والدفاع يعتبر حملاً ثقيلاً يتركهم متعبين عاطفياً ومستنزفين جسمانياً . فلابد لمثل هؤلاء الأطفال وآبائهم أن يتلقوا مساعدة مهنية ، لكى يحققوا قدراً من السعادة .

آباء مفرطو الإخلاص :

السعادة على طبق من ذهب :

كثير من الآباء ذوى الضمير يحتاجون إلى توعية فى تربية الأطفال . فربما يكونون محبين مخلصين ، ولكنهم مُفْرِطون فى ذلك نحو الطفل . فهم عاقدون العزم على جعل طفلهم سعيداً حتى لو قتلهم ذلك . وهم يتضوَّرون لتجنب كل إحباط ممكن فى حياة طفلهم ، حتى ولو أصبحوا هم ، أثناء ذلك ، حطاماً عديمى الجدوى .

والسعادة ، فى أحسن الأحوال ، هدف خادع . إنها ليست نهاية المطاف ؛ إنها سلوك سفر . فالسعادة ليست هدفاً فى حد ذاتها . إنها حصيلة ثانوية للعمل ، واللعب ، والحب ، والحياة . والحياة ، بالضرورة ، تستلزم التأخير بين الرغبة والتحقيق، بين الخطّة والإنجاز ، وبعبارة أخرى : إنها تقتضى ضمناً الإحباط وتحمّل الإحباط .

ولسنا فى حاجة إلى أن نخطط ، كما أننا لسنا فى حاجة إلى تعمد المرض . ولكن عندما يصاب الطفل بالإحباط ، فلا داعى أن يتحطّم الآباء . فعندما يبكى الطفل ، فليس من الضرورى للأم أن تلعب أكروبات لإعادة ابتسامته . وفوق كل شىء ، فالأطفال يحتاجون إلى إدارة حكيمة ليست مبنية على الشعور بالذنب أو الاستشهاد .

وعندما يُقابل الطفل المطالب البسيطة والطلبات المعقولة بالدموع ونوبات الغضب، فمن الأفضل الإصرار على الأداء ومواجهة العاصفة . واسترضاء الطفل لن يصفّى الجو . ومع ذلك فإن السُّحب ستجلب المطر . وكل مايستطيع المرء أن يفعله هو انتظار العاصفة لتمر بدون الخروج منها بارد القدمين . والأطفال يكتسبون القوة والأمان من قدرتنا على البقاء رابطى الجأش متوددين .

آبـاء مطلّقـون :

شكل شبيه بالمودة :

الطلاق مثل البتر ، تجربة مزلزلة للروح لجميع الأطراف . فهى تمثل للآباء نهاية لعديد من الأحلام والآمال العزيزة . وربما بالنسبة للأطفال تشبه نهاية العالم ، فوسط مرارة الأسرة المحطمة وارتباكها ، يجب على الآباء أن يختاروا الطريق الأقل ضرراً لأطفالهم .

وأسوأ ما يستطيع الوالدان أن يفعلاه هو استخدام كل منهما الطفل كسلاح للانتقام من الآخر . فالمشاعر فجّة ، والفرصة قائمة والإغراء مهول . وربما كان أحد الوالدين هو الملوم وهو المؤذى والمفترى ، وربما يكون الأطفال مجبورين أو مدفوعين لتأييد أحد الجانبين فى معارك لدودة على الوفاء ، والوصاية ، والمال ، والتعليم ، والزيارات . وأثر كل هذا على الأطفال يمكن أن يتسبب فى كارثة .

وأفضل ما يستطيع فعله الوالدان المطلّقان هو أن يستمرا فى أن يكونا والدين بالرغم من أنهما لم يعودا زوجاً وزوجة . إنها ليست عملية سهلة ، طالما أنها تتطلب شكلاً من أشكال المودة وسط المرارة والعداوة . ولعل المساعدة المهنية تمكّن الآباء من التعامل مع أحزانهم بمزيد من الموضوعية ولفعل ما هو أفضل حقاً من أجل أطفالهم . وكما قالت الدكتورة « جـ . لويس ديسبرت » فى كتابها « أطفال الطلاق » :

ـ ربما لم يستطع رجل وامرأة أن يحرزا نجاحاً فى زواجهما . لكن يمكنهما أن يحرزا نجاحاً فى طلاقهما . ومع الجهد . . . والحكمة والهداية يمكنهما أن يجعلا من طلاقهما التجربة الناضجة التى فشل زواجهما فى الوصول إليها .

خاتمة

يمكن أن تقوم الحلول الجديدة التى يقدمها هذا الكتاب بتخفيف مهمة الآباء عند تطبيقها على نحو ملائم وبعد حسن انتقاء . فبعض الأطفال لينو العريكة ؛ ويقبلون التغيير فى العلاقات وفى الروتينيات بسهولة . وآخرون أكثر تحفّظاً ، فيقبلون التغيير تحت إلحاح وبعد احتجاج . وهناك آخرون أيضاً أكثر رجعية : فهم يقاومون عملياً أى تغيير فى حياتهم . والتطبيق الحكيم للطريقة الجديدة لن يتجاهل المظهر الأساسى لمزاج الطفل وشخصيته .

وفى العلاقات الإنسانية ، تعتمد الغايات على الوسائل . وتعتمد النتائج على المسيرة نفسها . وتزدهر الشخصية والسمات الفردية فقط عندما تتشرّب طرق تنشئة الطفل بالاحترام والمودة . والأمل كبير فى أن الطريقة الجديدة ستخلق حساسية أعمق للمشاعر ، واستجابة أعظم للحاجات فى علاقة المناهدة بين الآباء والأبناء .

الفهرس

المترجـــم

* صبرى محمد الفضل .

* ولد فى القاهرة ـ ٢ مايو ١٩٣١ م .

* ليسانس آداب لغة انجليزية ـ جامعة القاهرة ١٩٥٦ م .

* دراسات صيفية فى نيوكوليدج ـ أكسفورد ـ انجلترا ، وفى جامعة بوتسدام ستيت ـ نيويورك .

* ماجستير آداب لغة انجليزية وتربية ـ جامعة سان فرانسسكو ستيت كاليفورنيا ـ ١٩٨١م .

* تمهيدى دكتوراه ـ جامعة توليدو ـ أوهايو ـ ١٩٨٢ م .

* عمل بالتدريس والترجمة بالمدارس والمعاهد والجامعات فى مصر والسعودية والكويت .

* يعمل حالياً محرر مجلة .F. A . I . R (الاتحاد الأفرو أسيوى للتأمين وإعادة التأمين) بالقاهرة .

* ترجم العديد من روائع الأدب العالمى للناشئين للهيئة المصرية العامة للكتاب منها :

ـ آخر أيام بومبى .

ـ من الأرض إلى القمر .

ـ أول رجال على سطح القمر .

ـ إيفانهو .

ـ مزرعة الحيوان .

- الكونت دى مونت كريستو .
- سيلاس مارنر .
- جين اير .
- مرتفعات وذرينج .
- الفرسان الثلاثة .
- المزيف .
- المخطوف .
- حول العالم فى ثمانين يوماً .
- رحلة إلى مراكز الأرض .
- الأرض الطيبة .
- رحلة إلى القمر .
- قلعة الخطر .
- الزنبقة السوداء .
- العقل والعاطفة .
- الكبرياء والتحايل .

* له كتاب « مختارات من الأدب اليابانى » وكتاب « مختارات من الآداب الآسيوية » فى سلسلة الألف كتاب الثانى .

* سافر إلى معظم بلاد العالم عدة مرات ، وقام بزيارة معظم المتاحف والمؤسسات الثقافية والعلمية والفنية البارزة .